أسود براءة الدم
منى حارس
رواية
سأنتقم منكم جميعًا

الكتاب : أسود برائحة الدم
المؤلف : د.منى حارس
تصميم الغلاف : أحمد مسعد
تدقيق لغوي: دعاء مصطفى
تنسيق: أحمد مسعد
رقم الإيداع : 30991/ 2024
الترقيم الدولى : 978-977-778-396-5

---

30 عمارات العبور – طريق صلاح سالم – القاهرة
ت : 01096539633
noon_publishing@yahoo.com

جميع حقوق الطبع و النشر و التوزيع محفوظة للناشر

-١-

مع بدايةِ العامِ الدراسي وأولِ يومٍ في الدراسةِ فتحت المدرسةُ الثانويةُ أبوابها لكافةِ الطلابِ القدامى منهم والجدد ، توافد الطلاب وهم يرتدون الزي المدرسي المخصص لكلِ صفٍ من الصفوفِ الثلاثةِ الثانوية كانَ البنطالُ الأزرقُ الموحد للثلاث مراحل مع اختلاف لونِ التيشيرت .

فاللون الأصفر كانَ مخصصًا للصفِ الأولِ الثانوي ، والتيشرت الأحمر للصفِ الثاني الثانوي والتيشيرت البنفسجيَ للصفِ الثالثِ الثانوي ، كانت الألوانُ ما بينَ اللونِ الأحمرِ والأصفرِ ، ولم يحضر أيُ من طلابِ الصفِ الثالثِ الثانوي للمدرسةِ ، فطلاب الثانويةُ العامةُ لا يحضرونَ ويعتمدونَ على المذاكرةِ والدروسِ الخارجيةِ في معظمِ المدارسِ الحكومية والخاصة ، ولا يحضرون إلا لاستكمال أوراقهم الخاصة بالامتحانات واستلام أرقام الجلوس الخاصة بهم لدخول امتحانات الثانوية العامة .

ومعَ بدايةِ دخولِ بوابةِ المدرسةِ الحديديةِ ستجد مبنى المدرسةِ العتيقِ الذي يتكون من الساحة الكبيرة والمبنى الرئيسي ، ويقف المعلمون والمشرفون بحذر ليتم توجيه الطلاب الجُدد إلى الفصول الدراسيةِ ، ويختار الطالب مقعده الدراسيَ الذي سيرافقهُ طوالَ العامِ الدراسي ، وكانَ طلابُ الصفِ الأولِ الثانوي يقومون بالتعرفِ على زملائهم الجددِ فمعظمهم من مدارس مختلفةٍ من مدارسَ المرحلةِ الإعداديةِ .

تقعَ مدرسة « الشهيد السيد حفناوي الثانوية بنين » في شارع

كبير قريب من محطةِ قطارِ السكةِ الحديد ، والمستشفى الجامعي على يسار مبنى المدرسة ومن الجهة الأخرى ستاد التربيةِ والتعليمِ الرياضيّ ويُقامُ فيهِ النشاطُ الرياضيُ لكافة المراحلة الثانوية للإدارة التعليمية ، ومبارايات كرةَ القدمِ ودوري كرةِ القدمِ للمدارسِ المختلفةِ والإداراتِ التعليميةِ على مستوى محافظة المنصورة .

وهناك مخرجان للمدرسة (باب الإدارة وباب التلاميذ) حفاظًا على أرواحِ المعلمين والطلاب من الزحام والتدافع الكبير فعدد طلاب المدرسة كبير ، كانت مدرسة كبيرة يتناسب حجمها معَ أعدادِ التلاميذِ الملتحقينَ بها ، ومعَ عمرها الذي تجاوزَ السبعينَ عامًا ، وكانت المدرسةُ الأولى في المنطقةِ كلها ، ويفدَ إليها الطلابُ من مختلفِ المدينةِ الكبيرة والقرى ، تتكونَ المدرسةُ منْ مبنيينِ رئيسيينِ بالإضافةِ إلى مبنى صغيرٍ فرعي بُني حديثًا لاستيعاب الأعداد المتزايدة في عدد الطلاب .

وقفت معلمة اللغة الإنجليزية « ميس رضا « في الصف تنظر لطلابِ الصفِ الثاني الثانوي ، وتبتسم بترحاب وود كبير كانت تعرف معظمهم فكان معظم الفصلِ يأخذ عندها درس خصوصي من العامِ الماضي ، فقد كانت معلمةً متمكنةً في اللغةِ الإنجليزيةِ تستطيعُ إيصالَ المعلومةِ بسهولةٍ ويسرٍ للطلبةِ ، وكانت رغم قسوتها الظاهرةِ والخرزانة التي لا تفارقُ يديها للسيطرة على المراهقين وما يفعلون بالصفوف الدراسية من تمرد وعصيان ، ولكنها طيبةُ القلبِ يحبها الطلاب ويحبونَ طريقةَ شرحها المبسطةَ التي جعلتهم يحبونَ اللغة الإنجليزية ويتفوقون فيها ، كانت تحب الهزار والمزاح مع الطلبةِ وتتحدثُ معهم بحبٍ وتحاولُ حلَ مشكلاتهم بعيدًا عنْ الدرسِ

وتتحدثُ معهم بطريقتهم لإقناعهم ومحاولةِ هدايتهم والبُعدِ عما يفعلون من مشاكلَ والالتفاتِ إلى مستقبلهم حتى لا يندمون بعد فوات الأوان وفي وقت لا ينفع فيه الندم .

فكانت محبوبةً وخفيفةَ الظل يحبها التلاميذُ وكلُ المعلمينَ والعاملين بالمدرسة ، إلا معلمي اللغةِ الإنجليزيةِ كانوا يكرهون المرأة وينبذونها ، ويشعرونها دومًا بأنها غير مرغوب فيها ومنبوذة على الدوام ، لأنها كانت تشرحُ بضميرٍ في الصفوفِ ، ومعظم الطلبةِ يذهبون لها للدروسِ الخصوصية في السنتر التعليمي القريبَ من المدرسةِ ، فكانَ زملاؤها من نفسِ المادة يكرهونها ويتهمونها بأنها تريدُ خرابَ بيوتهم بسببِ ما تفعله وطريقتها السلسة مع الطلاب ، وكانت تتعجبُ من كلامهم الغريب فما تفعل سوى الشرحِ بضميرٍ سواء في المدرسة أو في الدرس ، فالاثنان عندها نفس الشيء ولا فارق بينهما؟

فلم تجبر أحدًا على أن يأتيَ إليها من الطلابِ ليأخذ درس خصوصي بالإكراه كما يفعلُ زملاؤها من أجل المال ، ولم تفعل أى شيئ سيء لأحدٍ ولكنها تتقي اللهَ وتراعي ضميرها في الشرحِ في الدرسِ وفي المدرسةِ وفي كل الأوقات لأنها تعرف بأنها ستحاسب على ما تفعل وتقول يوم الحساب .

كانت لا تحب الدروس الخصوصية ولكنها مضطرةٌ لإعطاء دروس خصوصية فراتبها الضعيف لا يكفي جلساتِ العلاجِ الطبيعيِ والأدويةِ التي يتلقاها ابنها الوحيدُ «عمر» ، كما أنها تحاولُ جمعَ وادخار المالِ من أجلِ عمليتهِ الجراحية التي ربما تُعيد للصبي

حياته وما فقده بالحياة بسبب ما حدث له ، وبسبب سوء اختيارها ، ولكن ماذا ستفعل فقد فات ميعاد الندم وعلى فعل شيء وإعادة الماضى ومحاولة إصلاحه ، فات الميعاد على فعل شيء كما قالت سيدة الشرق «أم كلثوم » ، لقد كانَ ابنها الوحيدُ عمر « قعيدًا» على كرسي متحرك ، مُصابًا في عموده الفقري ومُصابًا بالشللِ نتيجةَ حادث بالسيارةِ معَ زوجها السابقِ وبسبب تهوره وجنانه في لحظات فتسبب في أذي ابنه الوحيد طوال حياته .

كانَ زوجها يوم الحادث يقودُ السيارةَ على الطريقِ الصحراوي في زيارة لأحد أقاربه بالقاهرة بسرعةٍ جنونيةٍ ، وكانَ غاضبًا بشدةٍ بسببِ خلافٍ بينهُ وبينها على شيء لا تتذكره ولكنه بسبب قريبته ، وكانت هي يومها منهارة لأنها تخشى السرعة الزائدة وتخاف من السيارات المسرعة بسبب حادث قديم تعرضت له وهي طفلة صغيرة سبب لها عُقدة نفسية ، ورغم شفائها الجسدى من الحادث ولكن مازال الأثر النفسي يلاحقها ولم تستطع تخطي وتجاوز ذلك الحادث الذي تعرضت له عندما كانت طفلة في السابعة من عمرها منذ سنوات عديدة ، فأصابتها فوبيا مرضية من السرعة الزائدة وتشعر وكأن قلبها سيتوقف وقتها وستصاب بأزمة قلبية حادة ولا تستطيع التنفس أو التحرك ويرتعد جسدها كله بشدة .

فأخذت يوم الحادث تصرخُ بغضبٍ وهيستريا شديدة وتترجى زوجها أن يتوقفَ أو يقلل السرعة الزائدة ، فقلبها يكاد يتوقف من شدة الفزع والرعب والضغط الذي تتعرض له في تلك اللحظات الصعبة ، ولكنَ الزوجَ المجنونَ لم يتوقف بل أخذ يتراقص بالسيارةِ على الطريقِ يمينًا ويسارًا مُصدرا صريرًا عاليًا ومزعجًا جدًا نتيجةَ

احتكاكِ إطاراتها بالأسفلتِ ليخيفها أكثرَ وأكثر ويثيرَ توترها وفزعها ، وهو مستمتع بأنينها وصوت صراخها العالي الذي يترجاه أن يتوقف ، وهنا صرخت « رضا » برجاء مرددة :

- أوقف السيارةَ وإلا ألقيت بنفسي منها يا مجنونٌ سوفَ تقتلنا جميعًا « ، ونظرت لعمر الذي لم يكمل العاشرة من عمره وكانَ يصرخُ بهيستريا وهوَ خائفٌ مما يحدثُ أمامَ عينيهِ وما يرى أمامهُ من جنونِ والدهِ الذي يكرههُ ويبغضهُ بشدة ويتمنى موته ، هوَ يعرفُ عصبيةَ والدهِ الزائدة ويمقتهُ كالموت ، فكم مرة ضربَ أمهُ أمامَ عينيهِ وأهانها وكم مرةً أذاهُ هو الآخر على أتفهَ الأسباب وأحرقَ جسدهَ بالنارِ بتلذذٍ واستمتاعٍ شديد وهو يضحك أو يأكل أو يحتسى قهوته ، تساقطت دموعهُ الساخنةَ على وجنتيهِ الصغيرتين برعب ، وهو ينظرُ بذعرٍ إلى أمهِ التي تبكي بهيستريا لا تستطيع التنفس من شدة ذعرها وخوفها ، لم يرها في تلك الحالة من قبل ويرى والده يضحكُ بسخرية وهو يستمتعُ بعذابهما وخوفهما الكبير وهوَ يردد :

- ألقي بنفسك وأريحيني منك واذهبي للجحيم ، هل تعتقدينَ بأنك تهددينني يا غبية ، فموتك راحة لي هيا افتحي البابَ وارحلي في داهية لأرتاح منك للأبد فلن أحزن إن كنتِ تعتقدين بأنك تمثلين فارق في حياتي ، وبعدها ضغطَ زرِ الأمانِ ببابِ السيارةِ وهوَ يضحكُ ساخرًا ، لتستطيعَ الزوجةُ فتحَ البابَ المحكمَ بسهولةٍ وتلقي بنفسها من السيارةِ وهيَ تسيرُ بسرعةٍ جنونيةٍ ، وهنا انفتحَ البابُ تحتَ ضغطِ يديها التي ترتعد من شدة الخوف والتوتر ورأت « رضا « الطريقَ تحتَ قدميها ، يمرُ سريعًا فتسارعت دقاتُ قلبها بشدةٍ وسمعت صرخاتِ الزوجِ المجنونِ وهوَ يردد :

- هيا اقفزي ماذا تنتظرينَ يا جبانة ؟

هيا وأخذ يصرخُ وهوَ يتمايلُ بالسيارةِ يمينًا ويسارًا بجنونٍ مُصدرًا ضحكة عالية .

وهنا أغلقتْ البابَ بخوف وهيَ تبكي بانهيارٍ وجسدها يرتجف ، مُرددة :

- لماذا تفعل ذلك طلقني لأرتاح من ذلك العذاب فلماذا تفعل ذلك؟

ردد الزوج بسخرية :

- من يريد الطلاق فليذهب للمحكمة ، فأنا لن أطلق أحد ، وزاد من سرعة السيارة ، لتزداد صرخاتها وتوسلاتها كي يتوقف فقلبها لم يعد يتحمل ، كانَ الصبيُ يراقبُ كلُ ما يحدثُ بذعرٍ شديدٍ ولم يتحمل قلبهُ الصغيرُ ما يرى من عنفِ وقسوةِ والدهِ ، لم يتحمل أو يتخيلُ عقلهُ بأنه سيفقدُ نبع الحنانِ والطمأنينةِ في حياتهِ ، سيفقدُ أمه التي يعشقها ، والتي تهون عليه مصاعب الحياة وماذا سيفعل بدونها إن ألقت بنفسها من السيارةِ الآن .

ماذا سيفعل ؟

كيف سيعيش بدونها مع ذلك الرجل القاسي ؟

لقد توقفَ عقلُ الصبي عند تلك اللحظة وهوَ يرى انهيارَ أمه أمامه وضعفها الشديد ، وهوَ لم يرها بتلكَ الحالةِ من قبلَ وكانت دومًا مثله الأعلى والداعم له والمُشجع بالحياة ، لم ير بأنها أغلقت الباب وأخذت تبكي بشدة وانهيار شديد وهي تضع يديها المرتعدة فوق

صدرها فى محاولة لتطمئن نفسها ، كان عقله لا يرى سوى صورتها وهي ميتة ، وماذا سيفعل وحيدًا بتلك الحياة مع ذلك الأب القاسي القلب الذي لا يحمل في قلبه ذرة من العطف أو الحب له ، ماذا سيفعل وقتها ؟

كيف سيعيش بدون أمه ؟

ففتحَ الصبيُ باب السيارة الذي أنزلَ الأبُ المتهوز زر الأمانِ فيهِ ليخيف زوجته ، وقفزَ الطفلُ سريعًا وبلا أي تردد ومرة واحدة من السيارةِ التي كانت تسيرُ بسرعةٍ جنونيةٍ وهوَ يردد :

- أكرهك يا أبي وسأرحلُ معَ أمي ونموت معًا وستدخل أنت النار لتحترق فيها لوحدك .

لم يستمع الصبي لصرخات أمه الفلتاعة ولم يعط لأحد فرصة أن يفكر أو يتحدث ، لقد قفز الطفل بسرعة من السيارة التي كانت تسير بسرعة جنونية بالطريق السريع ، سقطَ الصبيُ على الطريق وتدحرجَ سريعًا ليصطدمَ جسده الصغير بسيارةٍ نقلٍ كبيرة كانث تسيرُ جهةَ اليمينِ وتدهسه تحت عجلاتها بلا رحمة وسائق الشاحنة يحاول أن يتوقف ، ولكنه لم يستطع كبح الفرامل في اللحظة المناسبة ولكن من حُسن حظ الصبي أن السائق كان يتابع حركة السيارة الملاكي التي كانت تسير أمامه بسرعة جنونية متجاوزة السرعة المطلوبة ويتراقص صاحبها على الطريق باستهتار ، وشاهد الرجل الباب بجانب السائق يُفتح فعرف بأن هناك مشكلة فحاول تقليل سرعته ، ومحاولة تفادي الاصطدام بالسيارة قدر المستطاع وعندما شاهد الصبي يلقي بنفسه من السيارة حاول التوقف بلا أي خسائر

للسيارات التي تليه ولكنه لم يستطع فالصبي كان يتدحرج بطريقة سريعة على الطريق أمامه لسرعة السيارة ، فأصاب الفتى رغمًا عنه .

وكانت إصابة الصبي خطيرة فبقيَ ثلاثةَ أشهرٍ في غيبوبةٍ وفاقدًا للوعي وتكسرت عظامهُ الصغيرةَ وعموده الفقري ، وعندما أفاق بعد شهورٍ من الغيبوبة وجدَ نفسَه قعيدًا على كرسي متحركٍ ، ويحتاجَ مبلغًا كبيرًا ليجريَ عمليةً جراحيةً تُعيد لهُ القدرة على السيرِ منْ جديدٍ ، كانت تلكَ الحادثة رغمَ قسوتها على الأم وعنفها الشديد ، ولكنها كانت السببَ في نجاتها وخلاصها منْ زوجها المريض نفسيًا الذي عذبها لسنواتٍ عديدةٍ ، كانت تتحملُ من أجلِ ابنها حتى يعيشَ في أسرةٍ كاملةٍ من أبٍ وأمٍ وعائلةٍ « أسرة سوية مكتملة الأركان في عيون المجتمع وما اعتادت عليه لسنوات طويلة ، بعيدًا عن التفكك والانفصال .

كانت تعتقدُ أنَ وجودَ الأبِ سيكونُ داعمًا وساندًا لها وللصبي بالحياة وأمام الناس والمجتمع والجميع ، حتى لو كانَ يمتلك العديد من العيوبِ والصفاتِ النرجسيةِ ، كانت تتحملُ وتتحملُ الكثيرَ من أجلِ عمر ابنها ، ولكن بعدَ الحادثةِ وما حدث للصبي ، لم يعد هناكَ داعٍ للتظاهرِ بأنَ كلَ شيءٍ بخيرٍ، فلم يكن هناكَ شيئًا بخيرٍ منذُ أنْ تزوجته وظهرت صفاته المريضة التي لا يتحملها أحدٌ من البشر أو حتى الحيوان ، كان زوجها مريضًا نرجسيًا بمعنى الكلمة وسيئاً بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ وصفات ، ولكنها تحملت الكثير والكثير من صفاته فقد اكتشفت بأنها حاملٌ منذ الشهر الأول لزواجها ، وتحمل بين أحشائها طفلًا ليس له ذنب في سوء اختياراتها وبأن ذلك المريض هو والده .

تحملت من أجلِ ألا يأتي طفلها إلى الحياةِ دونَ أبٍ وسندٍ وداعم نفسي ومعنوي ، ولكنَ زوجها البخيلَ الذي لا يتناسبُ ولا يتفق مع اسمه معَ الكرم بشيء ، لم يكنْ أبًا ولا سندًا ولا حتى زوج لها وربما لم يكن إنسانًا يشعر كالبشر وله قلب وإحساس .

كانت دومًا تحاول أن تمتص غضبه منْ أجلِ ابنها الصغير ، تحاولُ وظلت تحاولُ لسنواتٍ عديدة ولكنها عرفت بعد ذلك بغبائها فما كانت تفعله ليس له أي فائدة ولن يرضى عنها زوجها مهما فعلت وما قدمت من تضحيات ، فالشخص النرجسي من الصعبِ إرضاؤهُ مهما فعلت له وسيتهمك دومًا بالتقصيرِ والفشلِ وأبشع الصفات التي يمتلكها هو ، ولكنه يخبرك ويقنعك بأنها تخصك أنت وحدك ، فأنت المريض الذي يحتاج لعلاج نفسي وهو الحمل الوديع الذي يرتدي ثوب الفضيلة دومًا والذي خلقه الله من أجلك أنت ومن أجل علاجك .

ليسَ لأنكَ فاشلٌ حقًا وحقير ومقصر كما يخبرك دومًا ، ولكنَ ليشعركَ فقط بالعجزِ والنقصانِ أمامه مهما فعلت ومهما حققت من إنجازاتٍ بحياتك ، لتفقد ثقتكَ في نفسك شيئًا فشيء ويدمرَ حياتكَ كلها بعدها ، فيكره أن يراك ناجحًا ومتفوقًا بالحياة ، فاضطراب الشخصية النرجسية هو حالة مرَضية تؤثر على الصحة العقلية للمريض الذي ينتابه شعور مبالغ فيه بأهميته ، ويحتاج إلى الاهتمام والإطراء من الآخرين بشكل زائد عن الحد ومبالغ فيه ويسعى إلى ذلك دومًا ، يفتقر إلى القدرة على فهم مشاعر الآخرين أو الاهتمام بها فلا يهمه سوى نفسه فقط ولذاته، وثقته المفرطة في نفسه

وقدراته.

لكن وراء هذا القناع من الثقة المفرطة بالنفس والكبر المبالغ فيه ، يكون الشخص النرجسي ليس متأكدًا من تقديره لذاته ويمكن أن ينزعج بسهولة من أقل انتقاد له .

فيسبّب اضطراب الشخصية النرجسية مشكلات في كثيرٍ من نواحي الحياة للمريض في العلاقات الإنسانية و العمل والدراسة وفي كافة نواحي الحياة ، و يشعر النرجسيون بالتعاسة وخيبة الأمل عندما لا يتم منحهم الامتيازات الخاصة أو الإعجاب الذي يعتقدون أنهم يستحقونه دومًا ، فيجدون علاقاتهم مضطربة وغير مُرضية لهم ، وقد لا يستمتع الآخرون بالتواجد حولهم بل يشعرون بالتعاسة والمرض وخيبة الأمل ، ولقد كانَ كريمُ شخصًا نرجسيًا مضطرب الشخصية من الدرجة الأولى ، بكل ما تحمله الكلمة من صفات سيئه وكريهه ، كرهتُ كلَّ شيءٍ فيهِ حتى جمالهِ المبالغ فيه ، فقد كانَ يملك وجهًا جميلاً مستديرًا وبشرة بيضاء وعيون واسعة بنية بنفس لون شعره البني الناعم ، يمتلك قامة طويلة يحب ممارسة الرياضة والحفاظ على نفسه وصحته كثيرًا ، وسيم كما يقولون ويلقبونه ولكنهُ إنْ تحدثَ تساقطَ السمِ منْ فمهِ كالأفعى فهرب الجميع من أمامه خوفًا منه ومن شره ، فمنذ متى كان الجمال هو كل شيء بالحياة .

لقد كانَ متعجرفًا يرى بأنهُ أجملُ منها بكثير ، فلتحمد الله بأنه وافقَ وقبل بالزواجِ منها وتقدمَ لها رغمَ تجاوزها الثلاثينَ منْ عمرها فهي في نظره « عانس » ، فقد كانَ جمالها هادئًا وبسيطًا ولكنها في

عينيهِ قبيحة مهما فعلت وحاولت التغير من أجل إرضائه ، ومنذ متى كان إرضاء الناس غاية ، فإن حاولت إرضاء الناس على حساب نفسك ورغباتك لن يرضوا عنك بل سيحتقرونك بشدة ، ويبخسون بثمنك ، ولن يقدرك أحد كما لم تقدر وتحترم نفسك أنت نفسك وذاتك ، وكان هذا ما يفعله معها زوجها كريم .

كانت رضا تمتلك عيونًا سوداء واسعة برموشٍ وأهدابٍ طويلةٍ ، لها فم صغير وأنف صغير وقامة قصيرة لا تتجاوزُ ١٦٠ سمٍ ، وبشرةٌ قمحيةٌ وشعرَ قصير ناعم كالحريرِ أسود اللونِ ، كانت تعشقُ شعرها فقد كانَ يميزها منذُ الصغرِ ويصلُ لأسفل ركبتيها يومًا مُنسدلًا كالشلال على ظهرها في انسيابية ونعومة شديدة ، ولكنَ زوجها في أولِ يوم لها بعش الزوجية ومنزلهما ويوم زفافها ، قام بقص شعرها بغدر وخيانة وأخبرها بأنهُ يكرهُ الشعر الطويل .

وكأنهُ كانَ يعاقبها على جمالِ شعرها الطويل والميزة التي وهبها لها الله سبحانه وتعالى لتميزها عن الأخريات ، يريدها بلا ميزةٍ أمامه ولا هوية ، تساقطت يومها خصلاتِ شعرها الطويل وتساقطت معها دموعها وحسرتها على شعرها الطويلِ الذي كانت تربيه منذُ الصغرِ وتعتني به ، وتحبهُ بشدةٍ وتداريهُ بإيشاربٍ فقد كانت محجبةً .

فلم ير كريم شعرها إلا يوم زفافها واعتقدت بأنهُ سيفرحُ وينبهرُ بجمالِ شعرها الأسود كالليل الحالك والطويل كالنخل العالي ، كمعظم الرجال الذين يحبون الشعر الطويل للأنثى فهو تاج جمالها وأنوثتها فوق رأسها ، ولكنها لم تجد إلا العكس فبعد أن أتموا ليلة الزفافِ وبينما هي بينَ يديهِ بعدَ الانتهاءِ منها ، خرجَ من الغرفةِ

وأحضرَ المقص واحتنضنها بقوة ليقص خصلاتِ شعرها المفرودِ خلف ظهرها بغدر وخيانه دون أن ينطق بكلمة واحدة ، تساقطَ الشعر على الفراشِ وتساقطت معهُ الدموع وامتزجت بالدماءِ .

صرخت بعدم تصديق ودموعها تتساقط:

- ماذا فعلت ؟

ردد ببرود ممتزج بالسخرية والقسوة واللامبالاة :

- أكرهُ الشعرَ الطويلَ وتبدينَ أجمل من دونه في نظري .

وبعدها تركها وذهبَ إلى دورةِ المياهِ ليغتسل تاركًا إياها تتحسر على سنواتِ عمرها وعلى ما قضتهُ وأنفقته من مستحضرات وزيوت على شعرها ليصلَ لذلكَ الطولِ المميز الذي حسدها عليه الكثيرات من المعارف والأقارب ، لملمت شعرها ولملمت معه جراحها كلها وقسوة ما عاشته في تلك اللحظات ، ووضعته في شنطة من البلاستيك واحتفظت به ، لم تستطغ التخليَ عن شعرها وهو أعز ما كانت تملك بالحياة ، الميزة الوحيدة التي كانت تميزها في هيئتها ، فلماذا فعل ذلك معها بتلك الوحشية في تلك الليلة بالذات ؟

فكرت بأن زوجها ليس بالشخصِ المناسبِ لها أبدًا ولا يتناسب مع شخصيتها وطباعها الهادئة ، ولكن ماذا ستفعلُ إنه نصيبها فلن تطلبَ الطلاقَ في ليلة الزفاف وماذا سيقولُ الناش إنْ عرفوا بما حدثَ لها ؟

ووقتها سيسألُ الناش لماذا قصَ الزوجُ شعرها ؟

ماذا رأى منها ليفعل ما فعل ويهينها بتلك الطريقة ؟

كتمت مشاعرها الغاضبة وحسرتها القاتلة ومشاعر الخزى التي كانت تمزق قلبها وجسدها وفضلت الصمتَ ، ولم تخبز أحد بما حدث لها حتى أمها لم تقل لها شيء ، وكانت تقابلُ الجميعَ بالحجابِ ، ولا تتركهُ من فوق رأسها حتى أمها وأبيها وأخيها ، وقررت أنْ تعيشَ وترضى بالمكتوب وخصوصًا بعدَ أن عرفت بخبرِ حملها منذُ أولِ يومِ زواجٍ لها ، وعاشت من أجلِ حملها وما في رحمها وهي تتحمل وبعدها من أجلِ الصبي حتى لا يكبرُ دونَ أب وسند كما يقولُ الناش .

وتحملت بخلَ ونرجسيةَ الزوجِ ، لسنواتٍ عديدةٍ وقررت بأنها لا تريدُ الإنجابَ منه مرةً أخرى ، فقد كرهته وكرهت الحياة معهُ ومعاشرته وكانت الخلافاتُ بينهما كثيرةً ، وكانت تتحملُ من أجلِ أن تستمرَ الحياةُ وتقدم العديد والعديد منَ التنازلاتِ ، ولكنَ بعدما حدثَ لابنها الصغيرِ أمامَ عينيها ومشاهدتهُ وهوَ يموتُ بقسوة ورؤيةَ كراهيتهِ لأبيهِ ، لمْ تستطعْ أنْ تكملَ فيبدو إنها كانت مخطئة منذ البداية في تفكيرها ، فذلك الرجل لا يصلح أن يكون أبًا ولا زوجًا ولا سندًا وكان لابد أن تتخلص منه منذ سنوات مضت .

فرفعت قضية خلعٍ وتخلصت من زوجها للأبد ، وتركت له كل شيء وعادت للعيش في منزل والديها بعد رحيل الأم والأب وسفر أخيها للعمل في إحدى دول الخليج من أجل لقمة العيش.

ولكنَ الزوجَ لمْ يتركها وشأنها وظلَ يضايقها ويهددها من حينٍ لآخر ، لم يرسلْ لها نفقه لابنه الوحيد وتركها تصرف وتنفق على الصبي وعلى مرضه وعلاجه من راتبها الذي لم يكف لكل ذلك ،

فاضطرت لإعطاء دروس خصوصية ، ولم يكتف الزوج المخلوع بذلك بل أخذ يشوهُ سمعتها ويفتعلُ المشاكلَ في كل مكان حتى في المدرسة التي تعمل بها ، ولكنها كانت تتجنبهُ وتتحاشاهُ منْ أجلِ ابنها عمر ، ومازالت تعيشُ وتواصلُ حياتها تتمنى منْ اللهِ أنْ يشفيَ لها ابنها ويستطيعُ السير من جديدٍ وتستطيعُ توفيرَ ثمن عمليتهِ ليستطيع السير كأصدقائه ويواصل حياته بصورة طبيعية .

***

كانتْ « رضا « تبتسمُ للطلابِ الجددِ بودٍ وهيَ تردد :

- باللهِ عليكم أريد أنْ يكونَ عامًا سعيدًا علينا جميعًا ، فلا تصعبونَ الأمور يا أولادْ ، اعلموا أنَ هذا هوَ مستقبلكم وحياتكم فمن مرحلةِ الثانويِ تنتقلون للجامعةِ إنْ شاءَ اللهُ وتحققون ما تتمون بالحياةِ ، فاحترموا وجودكم هنا بالمدرسةِ وبالصفِ ، فلا أتهاونُ معَ أحدٍ واعتبروني أختًا كبيرةً لكم إن احتجتم لأي مساعدةٍ مني لنْ أتأخرَ عنكم أبدًا ، وأحتاجُ منكم مساعدةً فلديَ صبيٌ مثلكم ولكنهُ أصغرُ منكم ولكنهُ قعيد يحتاجُ لرعايةٍ فأفعلُ لهُ كلِ شيءٍ بالمنزلِ وأتمنى أنْ يشفيه اللهُ ، ويستطيعُ أنْ يسيرَ ويكملُ حياتهُ بطريقةٍ طبيعيةٍ مثلِ الجميعِ ، فأرجو منكم الدعاءُ لهُ بالشفاءِ ، وأنْ تلتزموا الصمت والهدوء في حصتي حتى تفهموا الدرس ، وعندما أنتهي من منكم يريدُ أيَ سؤالٍ فليرفع يدهَ بهدوءٍ ونظامٍ ، ومن منكم لا يريدُ أنْ يحضرَ الحصةَ فلنْ آخذ غيابٍ فليذهب ، ولكن لا يضايقني بوجوده بالصف فأنا حقٌ مرهقة... اتفقنا .

نظرتْ لعيونهم فوجدت التأثرَ الشديدَ في عيونهم الصغيرة وهنا

قالَ أحدهم :

- لماذا ابنكَ قعيدٌ يا ميس رضا ؟

نظرت لهُ بحزنٍ وهيَ تتذكرُ لحظةَ سقوطهِ منْ السيارةِ ، ورددت بحزنٍ :

- لم يكن قعيدًا يومًا بل تعرضَ لحادثِ الحمدِ للهِ على كل شيءٍ ، ادع له بالشفاءِ رجاءً صمت الجميع وشعروا بالخوف والرهبة قليلاً ، وقررَ كلٌ واحدٌ منهم في قرارةِ نفسهِ بأنه سيكونُ محترمًا ولن يضايقَ تلكَ المعلمة الطيبةِ ، فملامحها تبدو منهكة منْ الحياةِ رغمَ لمسةِ الجمالِ البسيطة التي تعلو وجهها ، كما أنها تعاملت معهم كرجالٍ يُعتمد عليهم وأخبرتهم بظروفها وظروفِ ابنها وكسبت تعاطفهم واحترامهم ، فمن الجيدِ أنَ تعاملَ المراهق باحترامٍ وتكسبَ ثقتهَ ، ولقد فعلتها وكانت دومًا مصدرًا لثقةِ واحترام الطلابِ بالمدرسة ، وكانَ هذا من أكثرِ الأسبابِ التي تضايق زملاءها في نفسِ المادةِ .

فالطلابُ يحبونها ويقدسونها وربما لا يذهبون للمدرسةِ إلا من أجلها فقط ، فقد كانت مهتمةً بالعلمِ وبمادتها وتعليمها وأيضا بالتربيةِ ، فكانت ترى أنَ هؤلاء الطلبة مظلومونَ بسبب العصرِ الذي يعيشون فيه ، وانتشارَ الكثيرِ من الفسادِ حولهم دون وجودِ رقيبٍ ولا متابع لما يفعلون ، جعل الكثير منهم ينحرفون ، فالأهلُ مشغولون في العملِ وتوفيرِ لقمةِ العيشِ والحياةِ معَ ارتفاعِ المعيشةِ والأسعارِ الجنوني ، ولم تعد المدرسةُ مع الأسف الشديد مكانًا ليعلمَ ويربيَ كما كانت تفعلُ بالماضي ، وتخرج أجيالًا واعدةً مثقفةً تعرفُ العديدَ

من جوانبِ الحياةِ الدينية والعلمية والحياتية ، ولم يعد الطالبُ يحترمُ المعلم ويحترمُ سيادته بالمدرسة ويقدرهُ بعدَ أنْ أصبحت تجارةُ الدروسِ الخصوصيةِ مهنة يكتسب به المعلم قوت يومه بذل وهوان .

وأهانَ المعلمُ نفسه وذلها لولي الأمرِ وللطالبِ منْ أجلِ المالِ ، ولكنَ رضا لم تكنْ هكذا ، كانت مازالت تؤمنُ بأنَ العلمَ رسالة وأمانة والمدرس حامٍ وحامل تلكَ الأمانة ولا بدَ من إيصالها بسلامٍ وبطريقة لائقة لقيمة المعلم والعلم الذي سيوصله للطالب ، لأنهُ سيحاسبُ عليها يومُ الحسابِ .

لذلكَ كانتْ تتقي اللهَ وتحاولُ أنْ تفعلَ ما يجبُ فعلهُ دون الالتفات لأحد من زملائها ولا ما يفعلون ، فشغلت نفسها بأمورها وابتعدت عن أمور الناس فمن انشغل بأمور نفسه كسب راحة باله وكان هذا مبدأها بالحياة ، ولكنَ بعضَ الزملاءِ بنفس المدرسة لم يعجبهم ما تفعل ولا مبادئها التي لم ولن تغيرها منذ سنوات مضت وهي تعمل في التربية والتعليم ، واعتقدوا بأنها تخربُ بيوتهم فمعظمُ التلاميذِ لا يأخذون دروسًا خصوصيةً إلا عندها هي فقط .

فكانت هناك مشاكل وخلافات عديدةٍ معَ بعضِ الزملاءِ الذينَ يدرسون بالمدرسة ، وكراهية وبغضاء تتعرض لها ، وكانَ أكثرهم بُغضًا لها « أستاذ محسن » ، كانَ الرجلُ يكبرها سنًا وترتيبًا وظيفيًا وخبرةً بالمدرسة ، فقد تجاوزَ الرجل الخمسينَ عامًا ،و تجاوزت هي الأربعين بعامين ولكنه كانَ يعاملُ الطلاب بطريقةٍ قاسيةٍ وعنيفةٍ للغاية ، لسانهُ لا يجيد

سوى الشتائمِ والسباب وأبشع الكلمات للتلاميذِ والكلامِ السيئِ والمبتذل ، كانَ لا يشرخ بضميرٍ ولا يحلُ نماذجَ معهم ولا يعلمهم شيئًا جديدًا من أجل الدروس الخصوصية ، ولم يكن محبوبًا من أحدٍ هوَ وزوجتهُ التي كانت تعملُ في نفسِ المدرسةِ مُدرس لغة عربية ، ومنذ متى يحب المرء الإنسان القاسي القلب بذىء اللسان .

كانَ دومًا يتهمُ « رضا» بأنها السببُ في خرابِ بيتهِ وقلةِ رزقهِ ورفضِ الطلابُ أخذَ دروسِ خصوصيةٍ عندهُ ، وكانت هيَ تتلاشى وترفضُ مواجهتهُ والاحتكاكُ بهِ دومًا ، ولكنهُ كانَ لا يتوقفُ عن مضايقتها هوَ وزوجتهُ « سناء « ، لم يرحموا ما هي فيهِ من ابتلاءِ ومرضِ ابنها ، وكانوا يدعون بأن ما هي فيه ما هو إلا عقاب من الله لها على ما تفعله وعلى نيتها السيئة .

وكانَ ملاكها الحارس هو من يدافعُ عنها دومًا « أستاذ غانم « مدرسَ التاريخِ بنفس المدرسة ، كانَ الرجلُ معجبًا بها وبعد رحيل زوجتهِ عرضَ عليها الزواجُ ولم تعترض على طلبه ولم توافق أيضًا على ما قال ، ولكنها كانت تفكرُ في الأمرِ ، كانَ الرجل عطوفًا وودودًا يساعدها دومًا في زياراتِ الأطباءِ وجلسات العلاج الطبيعي معَ عمر ابنها ، وكانَ يشجعها ويحبها ويعرفُ ظروفها ومتقبل بشدة بكل ما هي فيه ، لم تكنْ تحبهُ ولكنها كانت معجبةً بهِ وبرجولتهِ معها وصفاتهُ التي كانت كلها عكس صفاتِ كريم طليقها ، ولكنها كانت تخشى تجربةَ الزواجِ الثاني ولا تعرفُ ردةَ فعلِ طليقها المجنونِ وماذا يمكنُ أنْ يفعلَ بها ؟

وكيف سيؤذيها فقد هددها أكثر من مرة إن فكرت بالزواج

سيقتلها ، فمازالت زوجته فلم يطلقها بعد ، وأخبرها بأنه لا يؤمن بالخلع ومازالت زوجته مهما فعلت .

قطع حبل ذكرياتها بابُ الصفِ الذي فُتح مرةً واحدةً ودونَ أنْ يُطرقَ البابُ ، ليدخل رجل بدين يمتلك قامةً قصيرةً ، ويرتدي نظارةً طبيةً سميكةً لا تُظهرُ عيناهُ ذاتَ إطارٍ أسودَ ، وبشرةٌ بيضاءُ وله شعر مجعد قصير ، نظر للصفِ والطلاب بإزدراء ، وبعدها نظر لرضا بسخريةٍ شديدة ، ثمّ قالَ بصوت حاد وعالٍ :

- ها قد بدأنا يا ميس باستخدامِ طرقِ الثعالبِ ودموعِ التماسيحِ من أولِ يومٍ في السنةِ .

نظرت لهُ بغضبٍ شديدٍ واحمر وجهها غضبًا مرددةٍ :

- مستر محسن لن أسمح لكَ بكلمةٍ أخرى وسأرفعُ شكوى في الإدارةِ التعليمةِ إنْ تعديتَ حدودكَ مرةً أخرى ، ولنْ أرفعها لمديرِ المدرسةِ اخرجَ الآنِ واحترم المكان الذي تقف فيه واحترم سنك ومهنتك ، زفرَ بغيظٍ وهوَ يخرجُ من الصف ، فهوَ يعلمُ بأنها تستطيعُ تقديمَ الشكوى لجهةٍ أكبرَ من إدارة المدرسة .

ووقتها سيشهدُ معها الطلابُ ولن تقدم شكواها لمديرِ المدرسةِ ابن عمهِ الذي سيقفُ بجانبهِ كما يفعلُ كلُ مرةٍ بالرغم بأنها على حق ، أغلقَ الباب خلفهُ بقوةٍ وهوَ يُقسمُ بأنهُ سيجعلها تكرهُ حياتها هذا الترمَ، ولن يدع لها فرصة مهما فعلت . أخرجَ هاتفه ليتصلَ بموجهِ اللغةِ الإنجليزيةِ قريبهُ وصديقهُ المقرب ليتصرفَ في أمرها .

ولكنهُ لمْ يكملْ ما بدأ فقد اسشتاطَ غضبًا وهوَ يسمعُ صوتها وهيَ

تردد وكأنَ شيئًا لم يحدث :

- من يخبرني أينَ توقفنا رجاء... كانت تعجبهُ صلابتها وقوتها رغمَ كرههِ لها الغير مبرر، لم يعرف بأنَ ما عانتهُ وما عاشتهُ من قهرٍ وظلمٍ بالحياةِ ، جعلها صلبةً وقويةً لا يكسرها شيءٌ .

وهنا اصطدم بأستاذِ غانم مدرس التاريخِ ، وكانَ الرجل فارع الطولِ ورفيع يمتلك بشرة قمحية اللونِ وعيونًا سوداء كالليلِ وشعر أسودَ ناعم كانَ يشبهُ ميس رضا كثيرًا في الملامحِ والروحِ ، وقد شاهده وهو يخرج من صف رضا ، فقالَ بغضبٍ :

- ماذا كنتَ تفعلُ عند ميس رضا يا مستر محسن بالصف ؟

لماذا لا تدعها وشأنها ، فالأرزاقُ كلها بيدِ اللهِ وحده يا رجلُ يقسمها كيفما يشاء ؟

نظرَ لهُ محسن طويلاً وجاءت لهُ فكرةٌ شيطانيةٌ ليكسرَ بها «رضا » بديلاً عن الاتصالِ بموجهِ اللغةِ لتخرجَ انتدابَ خارجِ المدرسةِ ، ابتسمَ بخبثٍ ولم يرد ، بل رحلَ مسرعًا وهوَ يمسكُ هاتفه الجوال ويحاول البحث عن رقمِ ما في سجلاتِ اتصالهِ ، وكأنَ شيئًا لم يحدث ، زفرَ غانم بغيظٍ وتوجهَ لرضا بالصف ليعرف هل هيَ بخيرٍ ، وقفَ أمامَ البابِ وسمعها وهيَ تشرحُ وتضحكُ معَ الطلبةِ وكأنَ شيئًا لم يحدث ، ابتسمَ لقوتها وتحملها ورحلَ دونَ أنْ يقاطعها عن صفها ، فمادامت تبسمت فهي بخير وهو يعرفها جيدًا .

***

-٢-

انتهى اليومِ الدراسي الأول وخرجت رضا مسرعة فقد كانَ لديها جلسة علاج طبيعي لابنها بأحد المراكز الطبية المتخصصة ، وهناك خارج أسوار المدرسة كانَ طليقها كريم ينتظرها والشرزُ يتطايزُ من عينيهِ فاقترب منها وهوَ يردد بصوتٍ عالٍ :

- هل ستتزوجين يا معلمة الأجيالِ ومربية المستقبلِ لقد عرفتُ من أحد زملائك بالمدرسة وجئت لأهنئك بنفسي ؟

زفرت بغضبٍ وردت قائلةً :

- ابتعدَ عني يا كريمَ فليسَ لكَ دخلَ بي هل تفهم ، لقد انفصلنا ولا تربطنا أيَ صلةٍ منذ شهور ، وهنا أمسكها بقسوةٍ من ذراعها وهوَ ينظرُ لعيونها بتهديدٍ :

- عندما أسألك تجيبين فقط يا غبية هل ستتزوجين وتفكرين برجل غيري ؟

صرخت بألمٍ وهي تبعده عنها مرددة بتوتر :

- وما شأنكَ أنتَ إن تزوجت فأنت طليقي ألا تفهم ؟

بصق تجاهها بغضب وهو يردد بغضب:

- ما زلت زوجتي يا لعينة ولم أطلقك فلم أقل لك بأنك طالق وطلاقك باطل هل تفهمين باطل باطل ، وسأطلقك بمزاجي يا رضا هل تفهمين بمزاجي فقط ، ولن يجبرني أحد على طلاقك رغمًا عني حتى لو كانت المحكمةُ والقانون

حاولت الهروبَ والتخلصَ منه وهي تردد بصوت حاولت أن يكون متماسكًا وقويًا :

- هذا في عقلك المريض فقط ، فقد حكمت لي المحكمة بالطلاقِ ولدي أوراقُ طلاق موثقة من المحكمة والقانون والدولة وابتعد عني وإلا اتصلت بالشرطةِ الآنِ .

نظر لها بغيظٍ فلم تعد تخشاهُ أو تخافُ منه كما كانت تفعلُ في الماضي ، لم يعد يمارس سلطته وسيادته عليها ، لقد خرجت من تحتِ سيطرتهِ ، وكان هذا يجعله يشعر بالجنون ويفقده السيطرة على أعصابهِ وأكثر ما يغيظ الشخصية النرجسية فقدان السيطرة على شخص ما ... ردد بغضبٍ :

- إن فكرتِ في فعلها سأقتلك وسآخذُ ابني فلا تستحقين الحياة على وجه الأرض ، نظرت له وابتسمت بسخرية ولم ترد ، بل رحلت بهدوءٍ شديد وما زال شبح الابتسامةِ السمجةِ التي طالما كرهها على وجهها ، كانت تعرف بأنه لن يفعلَ شيئًا مجرد كلامٍ وتهديدٍ ، فلن يتحملَ مسؤوليةَ ابنهِ القعيدِ ولن ينفقَ قرشًا واحدًا منْ أجلهِ ، هو أجبن من أنْ يحاولَ قتلها فلم يحبها يومًا ولم يهتمْ لأمرها هو فقط يريدُ فرضَ سيطرتهِ عليها منذ اليوم الأول لزواجهما ، يريدُ رؤيةَ الرعبِ والخوفِ في عينيها منه باستمرار هذا كل ما يريد ، الخوف والقهر والذل عندَ سماعِ صوتهِ والارتجاف عندما تراه وسماع صوته ، ولكنها لن تجعله ينال ما يريد مهما فعل وحاولَ معها ، فقد انتهى كل شيء الآن هي حرة ولن تعود إلى سجنه مرة أخرى مهما فعل وحاول معها لقد دفنت الماضي وودعته منذ زمن ، ولن تعود إليه مرة أخرى

مهما حاول .

لا تدري لماذا يفعلُ كل ذلكَ ولم لا يتركها وشأنها تربي ابنها المريض؟

حتى هو أيضًا كان لا يعرف لماذا يؤذيها بتلكَ الطريقةِ المشينة والظالمة ؟

فلم يحبها يومًا ولم يعترف يومًا بأنها أنثى على الإطلاق ، فقد سلبها أجمل ما فيها وانتزعه منها حتى لا تشعر بأنها مميزةٌ في شيءٍ عن بقيةِ النساءِ ، بل جردها من شعورِ التميزِ منذ أولِ يومٍ لها معه ، لم يفعل يومها ما فعل إلا بعد أن تلذذَ بجسدها ووضعها أمامَ الأمرِ الواقعِ .

فلا مجال للفرارِ أو الاعتراضِ فقد فاتَ المعاذ ، وكان الاختيار صعبًا واتخاذ قرار مناسب للموقف مؤلم ، فاستسلمت وخارت قواها أمامه بضعف واستكانت لكل شيء ، ولكم كانت نشوتهُ وسعادتهُ عندَ رؤيةِ حسرتها على شعرها وعدم تصديقها ما فعلَ بشعرها وتاجِ رأسها ، شعرها الذي كانت تربيه منذُ الصغرِ ولم يهنْ عليها يومٌ قصه لأنهُ كانَ ناعمًا كالحريرِ وطويل بدرجة مثيرة ، ولكنها لم تعطهِ ذلكَ الشعورِ مرة أخرى للأسفِ الشديدِ .

فيبدو إنهُ عندما قصَ شعرها ليلةَ الزفافِ ، كسرها بشدةٍ وذل نفسها لدرجةٍ بأنهُ لم يعد هناكَ شيئا يكسرها به أكثرَ مما فعلهُ بها يومها ، فكانَ يحاولُ فرضَ سيطرتهِ ويذلها مراتٍ ومراتٍ وكانت هيَ راضخةٌ مستسلمة وراضيةٌ كاسمها « رضا » ، فيبدو بأنَ لكلِ منا نصيبا في اسمهِ كما يرددونَ دومًا .

لم تعترض الزوجةُ على ما يفعلُ في جسدها من ذلٍ ومهانةٍ في أوقات عديدة ، ولم تعترض وتخبرهُ بأنها غيرُ راضيةٍ بما يحدثُ لها وبأن لها كيان مستقل يرفض ما يفعل بل لم تكن تتحدث وكانت راضية ، وكيفَ لا ترضى وهيَ تدعى « رضا » !

ولكن لم يكنْ كل ذلكَ يرضي الزوجُ داخليا ولم يشعرهُ بالارتياحِ والنشوةِ الداخليةِ والانتصار ، ولم يكنْ يتوقعُ أنْ ينتهيَ الأمرُ سريعا ويفقدُ تلكَ اللذةِ في الاستمتاعِ بعذابها وذلها وكسرها أمامه بتلك السرعة ولكنهُ حدثَ ، فندمَ على ما فعلهُ ليلةَ الزفافِ ، وتمنى لو لم يفعلْ وجعلها وسيلةَ تهديدٍ وإذلالٍ أبديةٍ بقصِ الشعرِ عندَ ارتكابِ أي خطأٍ .

ولكنهُ تسرعَ وندمَ على فعلتهِ في نهايةِ المطافِ ، ولم يحققْ ما يريدُ من زواجهِ منها ، حتى خيانتهِ لها المستمرةِ وإخبارها بها بتلذذٍ واستمتاعٍ ، لم تكنْ تعترضُ أو يبدوَ إنها مهتمةٌ لأمرهِ ،فليفعل ما يفعل حتى وإن ذهب للجحيم لن تبالي بأمره ، كانَ كلُ تفكيرها منصب على ابنها عمر ، ولم يكنْ كريمَ جزء من حياتها وتفكيرها يوما ، لقد كانَ مجردَ صورةٍ وشكلٍ خارجيٍ ظاهرٍ للناسِ والمجتمعِ بأنهم أسرةٌ سعيدةٌ مكتملة الأركان والعدد، ولكنَ السعادةَ لم تطرقَ بابها يومًا إلا عندَ ولادةِ ابنها الصغيرِ الذي ملأ حياتها بالفرحِ والسرورِ وجعلها ترضى بكلِ شيءٍ من أجلِ أنْ يكونَ سعيدًا بالحياة .

وافقت أنْ تكونَ دميةً يحركها زوجها كيفما يشاءَ ويفعلُ بها ما يريدُ ، دونَ اعتراضٍ منها بلْ الابتسامةُ السمجةُ مرسومةً على وجهها بكلِ رضا .

وكيفَ لا ترضى وهيَ رضا ؟

وكانَ هو يمقتُ صمتها وسلبيتها ويمقتُ رضاها المستمر ، لمْ يستطعْ أنْ يمارسَ ألاعيبه وما رسمه في عقله المريض من سعادةٍ ونشوةِ الانتصارِ عندَ إذلالها ، لأنهُ رغمَ ذلهِ لها كانتْ نفسها راضيةً مطمئنه غير مبالية ، فكر بشدة معاشرتها لسنواتٍ ليذلها ، فلم تتغير أو تثور طالبه بحقها الشرعيِ وحياةُ طبيعيةٌ كبقيةِ المتزوجاتِ ، بلْ كانت راضيةً ولمْ تلمخ للأمرِ يومًا أو تعترض ، وعندما عادَ ليمارسَ حقهُ الشرعيَ معتقدًا بأنهُ يذلها وتكرهُ أنْ تكونَ معهُ ، وجدها راضيةً أيضا ولمْ تعترضْ على ما يريدُ ، لقدْ فهمت شخصيته جيدًا ، ولم يستطعْ هوَ أنْ يفهمَ ويستوعب بأنَ اسمها « رضا » .

وسترضى ولنْ تثورَ وتعترضُ منْ أجلِ أجملَ ما في حياتها « ابنها » ، ولكنها بالنهاية لم تستطعْ أنْ تتحملَ عندما حدثَ ما حدثَ لابنها ولمْ تسامحه كونه السببَ فيما حدثَ لابنها وتسببه في إصابتهِ وإعاقتهِ وملازمته الفراشَ طوالِ حياتهِ ، فخلعته وتخلصت منهُ للأبدِ وتركت لهُ كلِ شيءٍ .

وذهبت وعاشت في منزلِ والديها اللذينِ رحلا وتركاها وحيدةً بالدنيا ، فلمْ يكنْ لها أحد فقد مات كلُ أخواتها الذكورَ قبلَ أنْ تولدَ هيَ وتأتي للحياةِ ، وعندما ولدت وعرفَ والدها بأنها فتاةُ حمد الله كثيرًا وسماها « رضا » ، فقد رضى الأب بعطيةِ اللهِ له ولم يعترض على موتِ الثلاثةِ أطفالٌ وحمد اللهِ بقدومِ ابنتهِ كثيرًا ، وأنجب بعدها أخيها « راضي » الذي سافر للخارج ولم يكن معها ، ذهبت وعاشت في شقة عائلتها القديمة معَ ابنها تاركةً كلَ شيءٍ لطليقها

فلم تأخذ شيء منه سوى نفسها وما تبقي من كرامتها وحياتها الباقية وكانت راضية ، ولكنه لم يقتنع أو يصدق بأنها رفعت قضيةَ خلعٍ وطلقتهِ ، لم يقتنع يومًا بالخلعِ وكيفَ تطلقها المحكمةُ ولم يلق عليها هوَ يمينُ الطلاقِ !

***

سمعت صوتًا خشنًا ينادي عليها ليقطع حبل أفكارها السوداء وما عانته من لون أسود لسنوات وسنوات سمعت صوتًا عاليًا يردد بحياء :

- ميس رضا ... ميس رضا ، انتظري رجاءً أريدك للحظات .. التفتت خلفها لترى منْ الذي ينادي عليها فوجدت رجلاً يبدو في أوائل الخمسين من عمره ضخم الجسدِ ومفتولِ العضلاتِ التي تبرزُ أسفلَ قميصهِ ، يبدو عليهِ الوقارُ معَ شعرهِ الرماديِ وذقنهِ ، يرتدي نظارةً سوداء للحمايةِ من أشعة الشمسِ ، كانت تشبهُ على الرجلِ فيبدو إنها رأته منْ قبل وسمعت صوته ولكنْ لا تتذكرُ أينَ ولا متى ؟

اقتربَ الرجلُ منها وهوَ يردد بحرجٍ :

- أعتذرُ لإيقافكَ في الشارعِ وتعطيلكَ سيدتي ، ولكنني أنتظركِ منذُ أكثرَ منْ ساعةٍ خارجَ أبوابِ المدرسةِ ، شعرتُ هيَ بالحرجِ الشديدِ ، لأنهُ شاهدَ طليقها وتابعَ الموقفُ منْ بدايتهِ ، فشعرَ الرجلُ بحرجها ، فاستردَ سريعًا مكملاً :

- ولكنني كنت أشترى زجاجةَ مياه معدنية من السوبر ماركت وتأخرت هناكَ ولكنَ الحمدَ للهِ بأنني قابلتكَ بالنهاية ، فهمت هيَ

محاولته اللطيفة عدمِ إحراجها ، فقالت بحيرة :

- أعتقدُ بأننا تقابلنا منْ قبلَ فوجهكَ وصوتكَ ليسَ بالغريبِ !

ابتسمَ الرجلُ وهوَ يخلعُ النظارةَ منْ فوقِ وجههِ ليرفعها على رأسهِ ، وهوَ يردفُ :

- الباشمهندش حسين الرفاعي والد الطالبِ « كارم » ، لا أعرف هل تتذكرينه أم لا .

كانَ يدرس عندكَ منذُ سنتينِ يا ميس رضا في الصف الأول الثانوي ، وهنا شهقتْ بانفعالٍ :

- كارم .. نعم أتذكره جيدًا كان طالبًا متفوقًا جدًا ومن أحسنِ الطلبةِ المهذبين والخجولين بالصف ، أين هو يا باشمهندس ولماذا لم يحضر العام الماضي إلى المدرسةِ ، ولم يعرف أي من زملائهِ عنهُ شيء ، أعتقدُ أنه كانَ منقطعًا عنْ الحضورِ السنةِ الماضية أليس كذلك .

-ردَ الرجلِ بحزنٍ شديدٍ :

- نعم يا ميس فقد كان « كارم « ابني مريض بشدة ، وللأسفِ ضاع العام الماضي عليه ولم يحضر للدراسة ، ولكنه سيعود هذا التيرم- إنْ شاءَ اللهُ ، فقد شفاه الله وهو بخير الآن ويستطيع الدراسة والعودة للحياة ؟

سألت بحزن :

- خيرًا ماذا حدث للصبي يا ترى ؟

تجاهلَ سؤالها وردَ بتوترٍ ملحوظٍ :

- كان مصابًا بسببَ حادثٍ صعب وبقيَ في المستشفى لشهورٍ عديدةٍ ، الحمد لله بانه استعاد عافيته شعرت هيَ بمدى توترهِ وحزنهِ على ابنهِ فلم تكرر السؤالَ عليهِ ، وسألت عن زوجتهِ مرددةً :

- ألفُ سلامةٍ وأين مدامُ رانيا زوجةِ حضرتكَ ؟

توترَ الرجلِ مرةً أخرى وردَ بإحرج :

- لقد رحلت لذلك ساءت حالته أكثر ولم يتبق لكارم سوى أنا بالدنيا ، وأحاول مساعدته وهوَ يحبك ويحترمك بشدةٍ وأنت من المعلمين المؤثرينَ في حياةِ الفتى ، وأتمنى أنَ تساعديه للعوده لحياتهِ الطبيعيةِ والدراسةِ حتى لا يضيعُ مستقبلهُ للأبد ، فقد بدأ يتعافى بفضل الله ، فيكفي سنهُ ضاعت من عمرهِ هباء في العلاج والمرض ، شعرتُ بالأسفِ الشديدِ على الفتى المتفوقِ وهنا تذكرت ابنها عمز كيفَ تغيرَ حاله في لحظةٍ واحدةٍ وأصيبَ بالعجزِ التام نتيجةَ حادثٍ أليمٍ حدثَ في لحظاتٍ معدودةٍ هو الآخر ، ولكنه القدر وحكمة اللهِ عزَ وجلَ التي لا يعلمها سواه ، تذكرت الفتى لقد كانَ شابًا مهذبًا وخجولاً ، فمازالت تتذكرُ ملامحهُ البريئةَ كالأطفالِ وطريقتهَ العفويةَ بالتعامل مع زملائه ، والتنمر الذي كانَ يتعرضُ لهُ في المدرسةِ من زملائهِ ، بسببَ اختلافهِ الشديدِ عنهم وارتباطهِ القوى بوالدتهِ ، فقد كانت تذهبُ معه كل الدروسِ وتنتظره كالأطفالِ ، وكانَ الصبيُ سعيدًا ولم يعترض على ما تفعلُ بل كانَ يعاتبها بتأثر إنَ تأخرت عليهِ ، وكانَ غريبًا على المراهقينَ وطباعهم عندَ البلوغِ الذينَ يحبونَ أنْ يظهروا رجولتهم واستقلالهم عنْ العائلةِ

ويفرضونَ آراءهم ويسببونَ العديدَ منَ المشاكلِ .

ولكنَ كارم كانَ حالةً مختلفةً وخاصةً جدًا ، وكانَ مصدر تعجبها لأنها تعتقدُ بأنهُ غيرُ طبيعيٍ ولديهِ مشاكلُ بعدمِ استطاعتهِ تكوينَ صداقاتٍ ولا الاندماجُ في المجتمعِ ومعَ أقرانهُ من نفس العمر ، وهنا تسالت بحيرةً كيفَ استطاعَ الفتى التغلبُ على موتِ أمهِ معَ ارتباطهِ الشديدِ وتعلقهِ المرضى بها ؟

فهيَ تتذكرُ بأنَ والدَ كارمَ كانَ يعملُ في إحدى الدولِ العربيةِ ، فكانتْ الأمُ هيَ كلُ شيءٍ في حياةِ ابنها الوحيدِ ، فهلْ عادَ للعيشِ في مصرَ ، معَ ابنهِ الوحيدِ بعدَ رحيلِ الأمِ ؟

خرجَ السؤالُ حائرًا على شفتيها :

- هل عادَ كارمُ للدراسةِ اليومِ ؟

- ردَ الأبُ بفتورٍ:

- لم يأت اليومِ إلى المدرسةِ ولكنهُ سيحضرُ غدًا لصفهِ ، فلقد أنهيت لهُ كلِ أوراقهِ معَ مديرِ المدرسةِ ليعودَ لاستكمالِ دراستهِ بالصفِ الثاني الثانويٍ إن شاءَ اللهُ من الغد .

- الحمدُ للهِ إنْ شاءَ اللهُ سيتخطى الأمر ويكون أفضلَ منَ الأولِ ، فكارمُ متفوقٌ وذكيٌ وأتوقع له مستقبلًا باهرًا يا باشمهندس لا تقلقْ سأكون معه .

- أتمنى ذلكَ ، لذلكَ انتظرتك يا ميس رضا ، فأريدَ أنَ تعطيه درسًا خصوصيًا ولكنَ بمفردهِ ، وليسَ بمجموعة .

ردتْ بحزنٍ :

- أعتذرُ منكَ ولكنني لا أستطيعُ إعطاءُ دروسٍ خصوصية فرديةٍ ، ولكنني أعطى في السنتر بجوارَ المدرسةِ يومَ الخميسِ ويومِ الثلاثاءِ يمكنهُ الحضورُ في المجموعةِ التي تناسبهُ الساعةُ الثانية بعد المدرسة مباشرة ، وأعتقدُ منَ الأفضلِ لهُ الاندماجُ معَ زملائهِ وتكوين صداقات ، قاطعها برجاء مرددا :

- ولكنني لا أريد درس في مجموعة ، ولا أريدُ منهُ الاندماج معَ أحدٍ ، أريد درس بمفردهِ والسعرُ الذي تحددينهُ في الحصةِ لن أعترضَ عليهِ المهم عندي أنْ ينجحَ ويواصلُ دراستهُ وحياتهُ وهو يحبك ومازال يتذكرك يا ميس رضا ويشكر فيك كثيرًا .

ردتْ هيَ بإحراجٍ :

- لا أستطيع فلديَ ظروفٌ خاصةٌ ، ويمكنكَ البحثُ عنْ مدرس آخز ، إن كنتَ تعقدُ بأنهُ الأنسبُ لكارمْ أن يكون بمفرده ، والزملاءِ جميعهمْ بالمدرسة متميزونَ ومتمكنونَ في اللغةِ الإنجليزيةِ وربما أكفز وأكفأُ مني ، فأكملَ هوَ قائلاً :

- ولكنَ ابني يحبكَ ويحترمكَ يا ميس رضا ، أرجوك أعرفُ ظروفكَ ومرضِ ابنكَ ، ولنْ أجبركَ على المجيءِ إلى منزلنا لإعطاءِ الحصةِ والضغطِ عليك ، ولكن يمكنني إرسال « كارمْ « إليكَ في منزلكَ في الوقتِ الذي تحددينهُ والسعرُ الذي تحدديه أيضًا ،لن أعترض ولكن الفتى لن يتحملَ سخريةً وتنمرَ من أحدٍ وهوَ في مرحلةِ نقاهةٍ بعد مرض طويل ألزمه الفراش لشهور ، أرجوكَ فلديكَ ابنٌ أيضًا مريض ، وقفت حائرةً لا تعرفَ بماذا ترد عليه ؟

وهنا لمحها مستز « غانم » ولاحظَ توترها ، فأقبلَ إليها مسرعًا ، وردَ بتوترٍ وهوَ ينظرُ إلى الرجلِ وإليها :

- هل هناكَ شيءٌ يا ميس رضا ؟

ابتسمت بسعادةٍ فقد أنقذها غانم من الإحراجِ والتفكيرِ ، فقالت له :

- لا يا مستر غانم ولكنَه والدَ أحدِ الطلبةِ ، وبعدها التفتت إلى الرجلِ مرددهِ :

- سوفَ أرى ظروفي يا باشمهندس وأردُ عليكَ في أقربِ وقتٍ ، وأخذتْ رقمَ هاتفهِ وأعطتهُ رقمَ هاتفها ورحلَ الرجلُ وهوَ يشكرها ويخبرها بأنهُ سينتظرُ ردهاِ .

استقلَ سيارتهُ الفاخرةَ ورحلَ مبتعدًا ، ونظرَ غانم إليها وردَ :

- ماذا حدثَ يا رضا تبدين متوترة فمن هذا ؟

- ابتسمت له مرددة :

- والد طالب ويريد درس خصوصي لابنه ؟

نظر لها بدهشة مردًا :

- ومنذ متى يحضر الأهالي للاتفاق على درس خصوصي ،فنحن في مدرسة ثانوي وليست روضة للأطفال تنهدت بضيق :

- ابنه مريض يا غانم ويريد درس خصوصي بمفرده وعرض أن يأتى الفتى لمنزلى وبالمقابل الذي أريده ، ولكنني أفكر بالأمر .

- ومنذ متى تحضرين الطلبة لمنزلك يا رضا ؟

نظرت له بحسرة شديدة وحزن مرددة :

- منذ أن ابتلانى الله عز وجل وأريد أن أجمع ثمن عملية ابنى بدلًا من أن يظل قعيدًا طوال حياته .

شعر بمدى حزنها وعجزها وتمنى لو كان يمتلك ثمن عملية ابنها ليريح قلبها المرهق ، فرؤيتها وهي عاجزة تؤلم قلبه وتمزق كيانه كله ، فردد بحزن :

- إن شاء الله سيكون كل شيء بخير ، وسوف يقوم عمر ويمشي ويجري ويلعب كزملائه بإذن الله قريبًا ثقي في الله يا عزيزتي .

- تمتمت بحزن :

- أتمنى من الله ذلك يا غانم .

وهنا نظر إليها كثيرًا وكانت هي تتحاشى النظر إلى عيونه السوداء ، فقال :

- ماذا بك ، هناك شيء آخر ماذا حدث هيا فعيونك تكشفك يا صغيرتي ؟

ردت بسرعة فلن تخفي عنه شيء :

- كريم طليقي كانَ هنا منذُ قليلٍ وهددني بالقتل إن تزوجتك ، لا أعرف من الذي أخبره بعلاقتنا وبعدها ابتسمت بسخريةٍ ، نظر إليها بإشفاقٍ وردد :

- ليس هناك سوى مستر محسن سامحه الله ، لا أفهم لماذا لا يتركك طليقك وشأنك فقد تركت له كل شيء خلف ظهرك ؟

- لا أعرف يا غانم صدقني وقد تعبت من تلك الحياة الظالمةِ ، فلماذا يحدثُ لي كل ذلك ، فماذا فعلت فيها أخبرني باللهِ عليك لماذا أنا ؟

نظرَ إليها بإشفاقٍ وردَ :

- إنَ اللهَ يختبرُ قوةَ كلِ إنسانٍ وعلى مقدارِ قوته يعطيه ويبتليه يا رضا لتكون مكافأته وأجرهِ عظيمًا بالنهايةِ ، فعلى مقدارِ الصبرِ الذي يتحمله الإنسانُ يكونُ الجزاءُ .

رددت بحسرةٍ :

- ولماذا أنا يا غانم ، فأرى الجميع يعيشون حياة طبيعية وسعداء فقل لي لماذا أنا ؟ فالعديدون متزوجون ولديهم حياة سوية وعائلة ، وأطفال أسوياء وليسوا مرضى ، لديهم سند وظهر وزوج يقدسهم وعائلة يحتمون فيها من غدر الزمان ، ليسوا مطحونين في دوامةِ الحياةِ بمفردهم من أجلِ توفيرِ لقمةِ العيشِ والطعامِ والحياةِ فقل لي أين العدل في الأمرِ ؟

فلماذا يحدثُ لي كل هذا أخبرني وماذا فعلت بالحياةِ وما الذنبُ الذي اقترفته ليعاقبنى الله به ، هل لأنني راضيةٌ بكلِ شيءٍ ولم أعترض يومًا على ما يحدثُ لي لا أفهمُ شيئًا ؟

تنهد بحرارةٍ مُردفًا :

- إهدأي عزيزتي ، واعلمي بأن كل ما يحدثُ للإنسانِ من ابتلاء هو إرادةُ اللهِ ولحكمة لا نعلمها ولكنك ستعلمينها يومًا ، فاللهُ عادلٌ يوزعُ الأرزاقَ بعدلٍ وحكمةٍ ، ولقد حرم الظلم على نفسه فتذكري لولا ما

حدثَ لابنكَ ما وجدت نفسك يا رضا بالنهاية وما تخلصت من ظلم زوجك وقهره لك ؟

نظرت له طويلاً وهيَ تفكرُ فيما قال ، فحقًا لولا حادثُ ابنها لظلت طوال حياتها مهشمةً وشبحَ امرأةٍ يسيرُ على الأرضِ بلا هويةٍ ولا هدف خاضعة لرجلٍ نرجسيٍ مريضٍ يعذبها ويكسرها في كل لحظة ، ولكنها اليوم محطمةٌ كالزجاجِ من الداخلِ ، لا يستطيعُ أحدٌ أنْ يلملمَ جراحها ليعيدها لما كانت عليه من قبل ، فمن يعيدُ الزجاج السليم ويصلحه بعدَ أنْ تهشمَ وتناثرت شظاياه على الأرضِ ، ولكنها بالنهاية وبعد تجربتها القاسية أصبحت حادةً ومدببةً تجرحُ منْ يقتربُ منها أو يدوش عليها بالخطأ ودون أن يراها بقسوة كالزجاج تمام عند تحطيمه ، لقد أصبحت هي زجاج محطم كليًا ، ولكنها أصبحت أكثر خطورةً وقسوةً على من يتعامل معها بلا حذر وحرص ، فلم يعد هناك شيء داخلها تبكي عليه وتخشاه بالكون ، استغفرت اللهَ كثيرًا ، ورددت بصوتٍ عالٍ :

- الحمدُ للهِ على كلِ شيءٍ ، ربي يشهدُ بأنني راضيةٌ ، بكلِ ما أنا فيه ولا أقصدُ ما أقولُ وأردد ولكنني متعبةٌ ومنهكةٌ من الحياةِ وقسوتها ، وأتمنى أنْ يشفيَ عمر ويعود لحياتهِ الطبيعيةِ ، ابتسمَ لها بحنانٍ وهو يردد :

- إن شاءَ اللهُ ، سيكونُ كلُ شيءٍ بخيرٍ وسيشفى اللهُ بقدرتهِ عمر ، ولكن عندما يريد الله فكل شيء بميعاد ، هيا بنا لقد تأخرت عن موعدِ جلسةِ العلاجِ الطبيعيٍ ، وصعدا إلى سيارته المتواضعةِ ليوصلها للمنزلِ ليأخذا الصبي لجلسةِ العلاجِ الطبيعيٍ في أحدِ

المراكزِ الطبيةِ القريبة منها ، صعدت السيارة وهي تتنهدُ بحرارةٍ ، فعلي الرغم من قسوةِ ما تعيشه ، ولكن اللهَ أرسلَ لها غانم ليكون ساندًا وداعمًا لها ولابنها ، اختلست النظرَ بحرارةٍ ، لا تدري هل تحبهُ أمْ تحبُ اهتمامه بها الذي تفتقده ، فلم يعد لها أحد بالحياة ليهتم بها ، وتسللت إلى أذنيها أغنيةَ الكينج الذي قامَ بتشغيلها بصوت عالٍ بالسيارة ، « ربكَ لما يريد » ، ابتسمت وهي تردد ربكَ لما يريد :

ربك لما يريد أحلامنا هتتحقق

وكلامنا هيتصدق .. والغايب هيعود

ربك لما يريد..قلب العاصي يسلم

وعيوننا هتتكلم..

ولا شئ يبقى بعيد

ربك لما يريد..

الصعب بيتهون...

والحزن بيتلون..

طول ما الإيد في الإيد

ربك لما يريد..

***

وصلا إلى منزلها وفتحت الباب ، ونادت بصوت عالٍ :

- لقد جئت يا عمر هل أنت بخير يا بني .

دعت غانم للدخول ولكنه رفض دخول منزلها ، كان يرفض دخول شقتها وكان ينتظرها دومًا أمام باب الشقة حتى لا يسبب لها العديد من المشاكل وهي امرأة وحيدة تعيش بمفردها مع ابنها المريض ، وكان يحاول ألا يحرجها ويسبب لها الإزعاج مع الجيران ويعرضها للقيل والقال ويضعها في موضع شبهات وهي تعيش في منطقة شعبية ، فكلمات الناس لا ترحم ولا تترك أحد في حاله في بلدتهم الصغيرة ، فانتظرها حتى أحضرت الصبي على كرسي متحرك وكان الحزن باديًا على قسمات وجهه الصغير ، فقد تأخرت الأم في أول يوم لها بالعمل بالمدرسة وتركته وحيدًا بالمنزل .

فلم يذهب إلى مدرسته كباقي التلاميذ في صفه ، وسوف يذهب على الامتحانات فقط نظرًا لحالته الصحية ، وكانت مدرسته بعيدة عن منزل عائلتها ، ولكنه افتقد كل شيء بالحياة ، أصدقاءه ومدرسته وحتى ألعابه وحجرته لقد تركت الأم كل شيء في منزل والده خلف ظهرها ، ورفض الأب أن يرسل له حتى متعلقاته الشخصية وألعابه الكثيرة التي كان يحضرها له خاله من الخليج ، لم يفهم لماذا يفعل والده كل هذا ولماذا يكرهه بتلك

الطريقة ؟

كان الصبي له شعر أسود ناعم طويل يربطه برباط خلف شعره ذيل حصان ، وعيون سوداء واسعه يملؤها الحزن واليأس والألم ، وملامح حادة رغم صغر سنه ، وربما لما تعرض له من ألم وقسوة وعنف بالحياة من والده ، يمتلك بشرة بيضاء ورثها من والده ، اقتربت وهى تدفع الكرسي المتحرك أمامها ، وابتسم غانم بترحاب

شديد بالصبي ، الذي بادله الابتسام فقد كان الفتى يحب غانم ويعرفه فقد كان معه منذ بداية رحلة العلاج وجلسات العلاج الطبيعي منذ أكثر من عام .

غير خروجاته والتنزه وهو من يحمله دومًا بين يديه كابنه ويقوم بإيصاله لأي مكان بسيارته ويتحدث معه في موضوعات عديدة عن كرة القدم والحيوانات والكتب والسياسة كل شيء كان يتحدث معه فيه بحرية ، لقد تمنى دومًا أن يكون غانم هو والده الحقيقي الذي حرمه الحنان والعطف ولم يترك له سوى القسوة والعاهة المستديمة التي ستلازمه طوال الحياة بسبب تهوره وتهديده لأمه التي أغلى ما لديه بالكون ، ردد غانم بسعادة حقيقية وهو يقبل الصبي

من رأسه ويحتضنه بحنان :

- مرحبًا بالبطل الشجاع لماذا أراك حزينًا اليوم ،أخبرني يا صغيري فهل الأبطال تحزن مثلنا ؟

ردد الصبي بعتاب كبير :

- لقد تأخرتما يا عم غانم كثيرًا وتركتنى أمي طوال اليوم بمفردي بالمنزل فمللت الانتظار

ابتسم غانم وهو ينظر لساعة يده :

- طوال اليوم.... يا لك من ماكر يا صغيري مازالت الساعة الثالثة ظهرًا ، ومازال في اليوم بقية ولم ينته بعد ، فبعد الجلسة سنذهب جميعًا لتناول طعام الغداء معًا فمطعم البيتزا الذي افتتح منذ أسبوع يقول الجميع بأنه رائع ، فلماذا التشاؤم إن الحياة جميلة يا ولدي فلا

تنظر لنصف الكوب الفارغ وتمسك بالأمل ؟

فرح الصبي مردّدًا بحماس كبير :

- بيتزا لماذا لم تقل هذا منذ البداية فأنت تعرف بأنني أعشقها بشدة شكرًا لك يا عمي.

ابتسمت رضا بحنان وهي تنظر لغانم فقد كان رقيقًا طيب القلب كالملاك ، لا تدري لما تركته زوجته ورحلت ، لقد كان يمتلك حنان لا يوصف كانت تتمنى أن تسأله ولكنها لا تريد إحراجه ، فقد أخبرتها زميله لها بالمدرسة وهى زوجة صديقه بأن سبب الانفصال هي عدم قدرته على الإنجاب ، ولكنه ادعى بأن زوجته قد رحلت ، ربما لذلك السبب قررت أن تقبل العرض وتفكر بالزواج منه ، ولكن هل سيتركها كريم تتزوج وتعيش حياة طبيعية وتحاول ترميم جراحها الداخلية وتتناسى ما عاشته من ألم وعذاب ، لا تعرف ، قطع حبل أفكارها صوت عمر المتحمس وهو يردد :

- هيا بنا سنتأخر يا أمي ..

***

بعد الانتهاء من جلسة العلاج الطبيعي وتناول الغداء ، كانت رضا تنظر لغانم بشرود وهو يتحدث مع ابنها ، وعقلها في مكان آخر تفكر هل تقبل دروس خصوصية بالمنزل ، وهل سيتركها الجيران في حالها ، فقد كان حارس العمارة التي تسكن فيها يضايقها أحيانًا كثيرة ويتهمها بالباطل بما ليس فيها ، وذلك بسبب طليقها كريم الذي يشوه سمعتها أمام الجيران كل فترة ، ولا تدري كيف تتصرف ،

تفكر ماذا سيقول الجيران عنها فيكفي ما هي فيه من إبتلاء وحياة قاسية ؟

ولكن ماذا تفعل فدروس خصوصية بالمنزل ستقربها من جمع الأموال لعملية ابنها ، قطع حبل أفكارها « غانم « وهو يردد بقلق :

- فيم تفكرين ؟

ردت بشرود :

- لا شيء ..

نظر لها طويلًا وهو يرى حيرتها والقلق المرتسم على قسمات وجهها مردّدًا:

- ما الذي يشغل تفكيرك يا رضا ، فتبدين في مكان آخر وليس معنا فما الذي حدث ؟

تنهدت بحراره لتخرج كل ما بداخلها من قلق وتوتر وهي تنظر لعمر الذي كان يراقب فقرة العرائس المتحركة التي كان المطعم يعرضها للأطفال بمناسبة افتتاح المكان الجديد :

- أفكر في عرض الباشمهندس حسين والدروس الخصوصية بالمنزل

- وماذا عن عمر هل ستتركينه وحيدًا

- سيكون الدرس في منزلي يا غانم ولكن أخشى كلام الناس وأنا امرأة وحيدة تعيش مع ابنها المريض ، فكما تعرف فالأولاد ماشاء الله يبدون أكبر من أعمارهم

- إنك تكبرين الموضوع يا رضا ، ففي النهاية مازالوا طلاب ثانوي والجميع يعرف بأنك معلمة وتعطين دروس خصوصية ، فلا تهتمين لكلام الناس ، فمن اهتم بكلام الناس وجعله أمام عينيه لم يفعل شيء بالحياة .

- هل تعتقد ذلك يا غانم ؟

- نعم .. وأرى أنه من الأنسب لك إعطاء الدروس بالمنزل حتى لا تتركين عمر بمفرده فترات طويلة والصبي يحتاجك بجواره .

- وماذا عن كلام الناس ؟

- هل تقبلين الزواج بي يا رضا ولن يتدخل أحد في شؤننا ولن يهمك كلام أحد؟

نظرت له طويلاً وخفضت رأسها بخجل وهي تردد:

- لا أستطيع يا غانم الآن ، فطليقي لن يتركنى وسيأخذ ابنى منى ولن يهتم لأمره ولن أترك ابنى مهما حث من أجل رجل .

نظر لها طويلاً فهو يعرف مدى خوفها على ابنها الوحيد ، ويعرف شر وبطش طليقها المريض نفسيًا الذي لا يدري كيف لقب برجل في البطاقة الشخصية ، فما يفعله مع ابنه المريض وطليقته لا يمت للرجوله بشيء ، فصدق من قال ليس كل الذكور رجال .

***

-٣-

في اليوم التالي دخلت رضا الصف فقد كان لديها الحصة الأولى للصف الثاني الثانوي ، وبدأت في شرح الدرس وسمعت صوت ضحكات للطلاب من خلفها ، فالتفت بغضب لتعرف ما الذي يحدث ، وهنا وجدت الصف يضحك ضحكات مكتومة على أحد الطلبة الذي كان يجلس منفردًا بنهاية الصف ويبكي كالأطفال ، ضايقها الموقف بشدة وصرخت بغضب :

- ماذا حدث ؟

فرد أحد الطلبة من بين ضحكاته التي يحاول كتمها :

- كارم يبكى كالأطفال يريد أمه يا ميس فلم تحضر له الرضعة قبل المجىء للمدرسة

غضبت من رد الطالب وكلامه الجارح لزميلة فقامت بطرده خارج الصف ، وقالت بصوت غاضب :

- إن سمعت صوت أحدكم سيعاقب ولن يحضر لي حصة حتى نهاية العام ، هل تفهمون ؟

صمتوا جميعًا وتمالكوا أنفسهم وكتموا ضحكاتهم بالكاد حتى لا يخسرون المعلمة التي يحبونها بشدة ، واقتربت هي من الصبي وهي تردد:

- ماذا حدث يا كارم لماذا تبكي يا بني فما الذي حدث أخبرني ؟

انفجر الصبي بالبكاء وهو يردد :

- أريد أمي فلماذا رحلت وتركتني ياميس رضا .

نظرت له بإشفاق فيبدو أن الصبي لم يتجاوز بعد رحيل أمه، ولكن رد فعله كان غريبًا وبكائه بالصف أمام زملائه ليس بالأمر الطبيعي أبدًا ولا بالمنطقي ، فقالت بشرود :

- اذهب واغسل وجهك يا كارم ، ولا تبك يا ولدي فأنت رجل وكلنا راحلون ونهايتنا جميعًا واحدة ، فلن يبقى كائن حي على وجه الأرض فدوام الحال من المحال .

وقف الصبي وكان فاره الطول يملأ النمش وجهه وله شعر مجعد قصير ، خرج كارم من الصف مسرعًا أمام نظرات زملائه المتسائلة والتي لا تفهم شيء ، وهنا قالت رضا بصوت غاضب وعالٍ :

- هل تعلمون بأنكم مازلتم أطفال سخفاء ، أتسخرون من حزن زميلكم على موت أمه يا حمقى ، وهنا شعروا بالحزن على الفتى فلم يكونوا يعرفون شيء ، ولكنهم وجدوه يبكي كالأطفال ويردد « ماما أين أنت » ، فسخروا منه دون معرفة شيء عن حقيقة الأمر ، شعروا بالندم من كلمات المعلمة القاسية وتوبيخها لهم على ما فعلوا بزميلهم ، والسخرية من أحزانه ، رغم رد فعله الغريب ، وتحدثت معهم عن الأخلاق واحترام مشاعر الآخرين وحزنهم ، وعندما عاد الفتى من دورة المياه اعتذروا له جميعًا ، ولكن رد فعله كان غريبًا عليها فيبدو أن الفتى لم يتجاوز فقد الأم رغم مرور الأيام والشهور على رحيلها ، ويبدو أن والده على حق فيما قال ، فمازال الفتى يعيش في وحدته وعزلته ولم يتخط فكرة اعتماده على أمه في كل شيء ، كما عودته عندما كان صغيرًا كما كانت تحكي لها المرأة ، فلم

يتعاف الفتى بعد وتسألت بحيرة ، كيف ماتت الأم يا ترى فقد كانت تمتلك الكثير من الشباب والحيوية وتهتم بنفسها وصحتها بطريقة مُلفتة ، فهل ماتت في حادث أم بمرض ؟

بعد انتهاء الصف جلست مع « كارم » وتحدثت معه بأنه لابد أن يكون أقوى من ذلك ويتماسك ، فسوف يواجه الكثير في حياته وسوف يغادر الكثيرون الذين نحبهم من دائرة حياتنا ، ولابد من تعلم تجاوز أحزاننا فلا تبقى الحياة ولا تستمر للأبد ، أخذت تتحدث كثيرًا مع الفتى ، ولكنه لم يرد عليها بكلمة واحدة بل ظل صامتًا يحدق في الفراغ خلفها بشرود مما أثار غضبها ، ولكنها حاولت التماسك وربتت على كتف الصبي بحنان وهى تنهى حديثها :

- اعتبرني مثل أمك يا كارم إن احتجت شيء يا ولدي لا تتأخر واتصل بي ، فأنت مثل عمر ابني .. وهنا رفع عينيه إليها والتفت لها مهتمًا لما تقول وشبح إبتسامه حزينة على شفتيه مُردِدًا:

- هل ستتخلين عني كما فعلت هي يا ميس ؟

صدمها السؤال وفاجأها بشدة ، ولكنها تمتمت بصوت متوتر :

- سأكون معك يا كارم إن احتجت لأي شيء في الدراسة وصمتت قليلاً ..وبعدها أكملت وهي تنظر لعيونه الشارده التائهة والتي يتخللها الحزن والألم وقالت بفتور :

- وفي أي شيء يا بُنى بالحياة إن احتجت شيء أو ضايقك أحد سأكون معك ، ولكن عدني أن تهتم بدراستك ، وبعدها رحلت مسرعة ودقات قلبها تتسارع ، لا تدري لما ورطت نفسها مع الصبي ولكن

يبدو إنه يعاني وذكرها بابنها بشدة ، وقبل أن تخرج من الصف ، وجدت أمام وجهها « موجه اللغة الإنجليزية «يقف أمامها مُبتسمًا بسماجة وهو يخبرها بأنه تم انتدابها يومين في مدرسة أخرى بعيدة عن مدرستها لقلة المعلمين والعجز بالمدرسة الأخرى .

كادت تصرخ في وجهه بأنه قرار تعسفي ولا يجوز انتدابها بل الدور على مستر محسن زميلها ، بالإضافة لظروف ابنها المرضية ، ولكنها فوجئت بمستر محسن الذي يكرهها كالموت وهو يقف خلف الموجه وهو ابن عمه كان يقف مبتسمًا بسخرية وهو ينظر لها ، فيبدو أنه اتفق مع الموجه ليبعدها عن المدرسة ويضايقها ، لم ترد بل رحلت بهدوء وهي تردد بغضب للموجه :

- أنت تعرف بأنه ليس دوري يا مستر سالم ، فهل تخالف القواعد واللوائح وضميرك وتقف ضدى رغم ما أعانية ومرض ابني من أجل مستر محسن قريبك فماذا ستقول لله يوم الحساب ؟

رد الموجه بغضب :

- انتبهي لكلماتك يا ميس رضا وإلا حولتك للتحقيق والشؤن القانونية ، فلن أسمح لك بالتعدي بالقول أو التجاوز والزمي حدودك معي

لم ترد عليه بل نظرت له باستهزاء ورحلت دون أن ترد ، كانت تشعر بالغيظ والغضب الشديد ، فالمدرسة المنتدبة لها بعيدة جدًا عن منزلها ومع زحمة المواصلات ، فكيف ستتصرف ومع من ستترك ابنها المريض ، ولماذا كل هذا الظلم فليس دورها في الندب ولقد كانت انتداب العام السابق بمدرسة بعيدة ، ولكن ماذا ستفعل

فبسبب زميلها الذي يريد إبعادها عن طريقه من المدرسة بأي شكل ، كان يقف وهو يبتسم بسخرية شديدة :

رفعت رأسها وقالت بصوت غاضب :

- أقسم لك ستندم على كل شيء يا مستر محسن .

وبعدها رحلت تاركة زميلها وهو يضحك ساخرًا منها وأمام العديد من طلابها وزملائها ، ولكنها لم تهتم بأحد وذهبت إلى مكتب مدير المدرسة لتقدم شكوى ضد مستر محسن زميلها ، ولكنها كانت تعرف بأن المدير هو الآخر قريب لزوجة محسن فلن يفعل لها شيء ولكنها قررت تصعيد الموقف وتقديم شكوى رسمية للإدارة التعليمية ، وعليها ألا تتخطى مدير المدرسة أولاً بتقديم شكوى رسمية وترى ما الذي حدث فيها ، وبعدها تلجأ للإدارة التعليمية ، فكلها قوانين وروتين لن تحل لها شيء هي تعرف جيدًا ولكنها لن تقف مكتوفه الأيدي عاجزة ، فمن ليس له ظهر وسند بالحياة سيُهان وسيضيع حقه بالنهاية ، وكانت بلا سند ولا ظهر تواجه كل شيء بمفردها وبقلب محطم وجسد منهك من قسوة الحياة ، فمن الذي سيقف معها في تلك الغابة والتي فيها القوى يأكل الضعيف ويدوس عليه ويدهسه بالأقدام المتسخة ، يعيش القوى الفاسد بحرية ، وصاحب الحق ليس له مكان سوى الموت قهرًا بالنهاية .

هزت رأسها وهى تهمس بغضب :

- ولماذا على الضعيف أن يموت قهرًا ولماذا لا يموت الفاسد والطاغي ظلمًا ؟

لماذا يعيش الظالم سنوات وسنوات وهو يظلم ويجور على الضعفاء ، لا تفهم فأين العدل في القضية ؟

هى تؤمن بأن طبيعة الإنسان أن يظلم إن لم يجد ما يمنعه من الظلم ، فالإنسان ليس ظالمًا بطبعه ، ولكنه يظلم ولا يدري في قرارة نفسه بأنّه ظالم فكل عمل يقوم به الإنسان يحسبه عدلًا وحقه الشرعي وما ينبغي أن يحدث من البداية ، وحقه المكتسب ، ويظل يصفق له الأتباع والأعوان فيظن أنّه ظل الله في الأرض، وسيف العدل والعدالة على وجه الأرض .

فالاستبداد يقلب الحقائق في الأذهان، فيظن الناس أنّ طالب الحق فاجر وتارك حقه مطيع وخاضع ، فلا يوجد إنسان في الدنيا لا يدعي حب الحق والحقيقة والعدل والعدالة ، حتى أولئك الظلمة الذين ملئوا صفحات التاريخ بمظالمهم التي تقشعر لها الأبدان ، فالكل ملائكة وعلى حق والمظلوم هو الشيطان الرجيم في نظرهم.

ويبدو أنها كانت شيطان رجيم في نظر الجميع ، ذهبت دون أن تمضي على شيء ولا على إستلام خطاب الندب فليذهبوا جميعًا للجحيم ، فبداخلها بركان ثائر إن انفجر سيدمرهم جميعًا بلا رحمة في تلك اللحظة ، فلا يشعرون بما تعاني وما يجبرونها على أن تفعل ، فلن تكون راضية كاسمها بعد اليوم ستكون رافضة و قوية متسلطة وستجعلهم يخافون منها حتى الموت ، لم ترد على غانم وهو يسألها بتوتر:

- هل كل شيء بخير يا رضا ؟

همست لنفسها « ليس هناك أي شيء بخير فلن تخدع نفسها بعد

اليوم ولابد من أن يدفع الجميع الثمن» ،التفتت وهى تمر مسرعة وتلاقت عيونها مع «كارم « الذي كان مازال يقف مكانه يتابع ما يحدث بخوف وجسد يرتجف ،لا يصدق بأن العالم مليء بالأشرار تمتمت بضيق وهي تنظر له :

- لا تقلق يا بُني فكل شيء بخير .

وبعدها رحلت مسرعة ولم ترد على «غانم « الذي كان يلاحقها بتوتر ، وكان يشعر بالضيق والقلق عليها ، ويعرف بأنها لا تستحق كل ما يحدث ، ولكنها كانت تريد الهروب من كل شيء بالعالم ومن قسوة الحياة ، ولا تريد التحدث مع أحد إلا مع نفسها فقط في تلك اللحظة .

فالنفس هي الخلاص الوحيد ، والملجأ الآمن للإنسان حتى وإن تحطمت الحياة من حوله ، فالنفس هي السلاح الأول والأخير للحفاظ على الوحدة وعزلة الإنسان دون الاقتراب من الآخرين ، ولن تتخلى عن سلاحها وعزلتها من أجل أحد في تلك اللحظات .

***

دقات متتالية على باب المنزل بعنف أشعرتها بالتوتر والقلق ، أسرعت تركض تجاه باب الشقة ومازالت لم تستوعب ما الذي يحدث ومن الذي يطرق الباب بتلك الطريقة العنيفة ولا يراعي أحد ، لم تكن تعرف كم الساعة ولا كم مر من الوقت وهي نائمة ، لقد تناولت قرص منوم وأغلقت هاتفها الجوال ولم تذهب للمدرسة وقررت أن ترتاح بالمنزل ، يوم تقضيه مع نفسها فلم تكن تريد التحدث مع أحد بالعالم سوى نفسها .

كانت الطرقات تتزايد بشدة جعلت دقات قلبها تتزايد بتوتر ، فمن الذي يطرق الباب بتلك الطريقة المزعجة ، صرخت بكل ما تملك من غضب وهى تفتح الباب :

- من الغبي الذي يطرق الباب بتلك الطريقة لم تكمل كلامها، فقد وجدت أمامها العديد من رجال الشرطة بزيهم الرسمى يقفون أمامها بتحفز ، ويسأل أحدهم بصوت خشن :

- أنت رضا عبد القادر السيد ، مدرسة اللغة الإنجليزية ، في مدرسة الشهيد السيد حفناوي الثانوية بين

ردت بصوت متلعثم مختنق :

- خير ماذا حدث ؟

- مطلوب القبض عليك للتحقيق في جريمة ؟

ردت بعدم استيعاب لما يحدث قائلة :

- التحقيق في جريمة ، ماذا حدث ؟

- جريمة قتل موجه اللغة الإنجليزية « سالم عبد الغني مطاوع » ، وكل الشهود تؤكد بحدوث مشاجرة بينكما قبل الحادث بيوم في المدرسة ، ولم تحضري المدرسة أمس أو اليوم وتليفوناتك الجوالة مغلقة كانت تنظر له ببلاهة ، لا تفهم ولا تستوعب ما يقوله الشرطى ، فهل قتل مستر سالم ، ولكن كيف ؟ ولماذا يتهمونها بقتله ؟

وهل يقول بأنها لم تذهب إلى المدرسة يومان ، لقد أخذت أمس أجازة عارضة ولم تذهب للمدرسة لأنها كانت تريد الراحة فأغلقت

هواتفها ونامت

لم ترد على الرجل فماذا ستقول ؟ وهنا سمعت صوت عمر ابنها وهو يردد بقلق ويأتي من فوق كرسية المتحرك بخوف :

- ماما ماذا حدث ، وماذا تفعل الشرطة في بيتنا ؟

لم يستطع عقلها فهم ما يحدث ، ولكنها تعرضت للكثير من الضغط النفسي في الفترة الأخيرة ،نظرت لهم بتعجب فهل كل تلك الشرطة من أجل القبض عليها ، وماذا عن ابنها أين ستتركه ، كانت صرخات الصبي تقطع نياط قلبها فلم تتحمل وسقطت فاقدة الوعي دون أن تنطق وكلمات الشرطى تدوي في أذنيها :

- مطلوب القبض عليك لإتهامك في جريمة قتل

جريمة قتل ..

جريمة قتل ..

وكيف لها أن تقتل ؟

وماذا ستفعل بها الحياة أكثر من ذلك لا تفهم ...

***

-٤-

فتحت عينيها لتجد نفسها نائمة على أحد الأسرة في غرفة بأحد المستشفيات ، وكانت الخراطيم تدخل جسدها وتخرج منها ، فيبدو بأنها فقدت الوعي من الصدمة ، وكان « غانم » يجلس بجوارها ويمسك يديها ، جذبت يديها بقوة من بين يديه وهى تردد بفزع :

- عمر أين ابنى وأين أنا ؟

سمعت صوت غانم وهو يردد ويحاول طمأنتها :

- لا تقلقي يا رضا فهو بخير مع أمي بالمنزل ، وأنت بالمستشفى .

- أريد ابني يا غانم من فضلك ، أخرج الهاتف الجوال من جيب سترته وهو يحاول تهدئتها مردّدًا:

- سأتصل به الآن لا تقلقي فهو بخير أقسم لك ، بعد أن سمعت صوت ابنها واطمأنت عليه ، ارتاح قلبها قليلاً وهدأت نفسها وأخذت نفسًا عميقًا ، وقبل أن تسأل عما حدث ، فتح باب الغرفة ودخل محقق الشرطة ومساعده وهو يبتسم بسخرية مردّدًا :

- أرى بأن حالتك الصحية قد تحسنت كثيرًا يا ميس رضا ، لنكمل التحقيق .وأكمل بصرامة وبصوت يملؤه الشك :

- أخبريني بصراحة لماذا قتلت الرجل ..

- أي رجل لا أفهم ..

- موجه اللغة الإنجليزية يا ميس لا أحب اللف والدوران ؟

- رددت بصوت متعجب وقد بدأت تستعيد الذاكرة وتتذكر كيف اتهمتها الشرطة بقتل الرجل فقالت بصوت مرتجف:

- قتلته ، هل مات مستر سالم حقًا ؟

- نظر إلى عينيها مردّدًا بقوة :

- قتل لقد قتل الرجل ووجدوا الرجل مشنوقًا في منزله معلقًا في سقف الغرفة ومطعون عدة طعنات في أماكن متفرقة من جسده .

رددت بصوت باهت غير مصدق :

- مشنوق في سقف الغرفة ومطعون في جسده هل تقول الحقيقية؟.

حاول مفتش المباحث السخرية منها ، ولكنه كان يشعر بأنها صادقة فيبدو بأنها حقًا لا تعلم شيء ، أو إنها ممثلة بارعة وهي الفاعلة ، لقد قابل العديد من المجرمين وحقق في مئات الجرائم والحوادث الغامضة قابل المجرم والبرىء وكان يستطيع التميز ولديه حدس كبير فهو يعمل بالمباحث الجنائية منذ سنوات عديدة ولديه خبرة كبيرة ، ربما لا تبدو على وجهه الأسمر وملامحة الهادئة وعيونه السوداء الواسعة التي يداريها دومًا بنظارة سوداء للشمس كبيرة وشعره القصير الأسود ، فيبدو رجلًا عاديًا إلا عضلاته البارزة أسفل ثيابه تخبرك بأن الرجل رياضي ويمتلك جسدًا قويًا وكان يعشق عمله في البحث والتفتيش عن الأدلة ومطاردة المجرمين والخارجين عن القانون فمعظم وقته يقضيه في عمله ، ولكنه اليوم حائر ، فيبدو أن القتل كان بدافع الانتقام ، فلم يكتف القاتل بخنق

الرجل وموته بل قام بطعنه عدة طعنات في صدرة ليخرج معها كل الغل والكراهية تجاه الرجل، فيبدو بأن السبب انتقام فقد كانت أغراض المنزل كاملة لم يسرق القاتل شيء من المنزل تسأل بشك :

- لماذا شاهدك الجميع وأنت تصرخين في وجه القتيل وتهددينه بصوت عالٍ بالقتل ؟

رددت بدهشة :

- ولكنني لم أقل ذلك أبدًا لمستر سالم ، فهل تتهمونني بقتله ولكن كيف قتل مستر سالم ؟

وهنا تدخل غانم مردفًا :

- أنا شاهد ولم تقل ميس رضا شيء من هذا القبيل ؟

التفت مفتش المباحث « حسام » بعيونه السوداء بغضب تجاه المدرس وقال بصوت عالٍ :

- من سمح لك بالبقاء أثناء التحقيق ، تفضل خارج الغرفة ، حاول الرجل أن يتمتم بغضب مردفًا:

- ولكنها مريضة ولم تقل ذلك لقد كنت موجودًا يومها وأخبرتكم بكل شيء بالتحقيق ، ولكن أحد أفراد الأمن دفعه للخارج بقوة ، وهنا التفت لها المحقق بلامبالاه وهو يردد بصوت قاسٍ :

- أخبريني ما الذي قلتيه بالحرف للضحية ، تساقطت دموعها قهرًا ورددت بصوت متلعثم :

- لقد كنت غاضبة من قرار الندب ورفضت الاستلام والتوقيع ،

لأنه ليس دورى ، كما إن ابنى مريض ومصاب بالشلل ويحتاجني بشدة فلا أستطيع تركه لفترات طويلة بمفرده ، لذلك انفعلت وقلت فلتذهبوا للجحيم فأنتم تستحقون الموت جميعًا ، ولكنني كنت غاضبة مما حدث ولم أكن أقصد المعنى الحرفي للكلمة وهي قتل الرجل .

نظر لها طويلاً بعدها التفت إلى مساعده فهو يعلم أنها صادقة ، وبعدها سألها :

- ولما يفعل الرجل ذلك رغم معرفته بظروفك وحالتك ؟

تساقطت العبرات من عينيها بغزاره وهي تردد:

- من أجل مستر محسن زميلي فهو قريب زوجته وحتى أبتعد عن المدرسة فهو يتهمني بأننى أخذ منه الطلاب ولقد تقدمت بشكوى لمدير المدرسة ولكنه لم يفعل شيء أيضًا ، لأن محسن ابن عمه ، وكأنهم اشتروا كل شيء بالحياة وليذهب الآخرون إلى الجحيم من أجل أن يعيشوا هم وعائلاتهم بسلام وراحة بالكون ، ولكنني لم أفعل شيء أقسم لكم لم أفعل شيء . .

وهنا سأل « أيمن « مساعده بشك :

- وأين كنت أمس واليوم ولم لم تحضري للمدرسة يا ميس .

- لم أذهب أمس أخذت أجازة عارضة كنت أود البقاء مع نفسي ومع ابنى المريض وأغلقت هاتفي الجوال حتى لا يزعجني أحد ، وكنت أنوي الذهاب للمدرسة اليوم ولكن نمت ولم أنتبه للمنبه فقد كنت مرهقه ولا أستطيع النوم فتناولت قرصين من المنوم ولم أشعر

بشيء ، نظر لها « حسام « طويلاً ثم قال وهو يفرك شعر رأسه :

- أين كنت الساعة الثالثة ظهرًا تحديدًا ..

أجابت بسرعة وكأنها كانت مستعدة لذلك السؤال :

- كنت مع عمر ابني في جلسة العلاج الطبيعي في مركز الحياة ، يمكنك التأكد من كلامي ؟

- وأين عنوان المركز ؟

- في شارع الملك حفني بمنطقة الميدان ، وهنا نظر لها « أيمن « وحسام بشك كبير وردد أيمن بصوت عالٍ :

- إنه نفس الشارع الذي يسكن فيه أستاذ سالم القتيل ، صدفة غريبة فتحت عيونها برعب وتساقطت العبرات من مقلتيها وهي تردد بتوتر:

أقسم لك لم أفعل شيء ولا أعرف أين يعيش مستر سالم ، ولكنه المركز الوحيد الذي يمتلك الأجهزة التي يحتاجها ابنى ولقد حولني طبيبه المعالج للمركز منذ شهور ويمكنك التأكد من صحة كلامي وصدقي ، وبعدها أخذت تبكي بقهر ، فإلى متى سيظل ذلك القهر والطغيان من البشر عليها ؟

فإلى متى قهر ودموع وعذاب ؟

إلى متى ظلم وكسر للعباد ؟

فلم تعد تتحمل كل ما يحدث لها وتمنت الموت والبعد عن كل هذا .

فسيكون الله رحيمًا رؤوفًا بحالها عن هؤلاء البشر وعن كل هذا

الطغيان والظلم .

خرج رجال الشرطة من الغرفة بعد التحقيق للتأكد من صحة أقوالها ، ودخل أستاذ غانم سريعًا ليطمئن عليها فوجدها تبكي بقهر ، حاول طمأنتها ولكنه لم يكن مطمئنًا وتساءل هل حبيبته الفاعلة ؟

هل هي من قتل الرجل وقامت بخنقه وبعدها طعنه ؟

لقد سمع بأنهم وجدوا الرجل مطعونًا بخنجر حاد من الخناجر التي تباع في الدول العربية وليس متداول بيعها في مصر وفي المنصورة ، وهو يعرف بأن أخيها يعمل في إحدى الدول العربية بالخليج ، فهل هي الفاعلة ؟

لقد كانت غاضبة بشدة يومها من الرجل حتى إنه لم يصدق بأنها هي التي تتحدث أمامه ، كما إنه ذهب إليها لجلسة العلاج الطبيعي ولكنها لم تكن موجوة في الاستقبال كعادتها في انتظار ابنها ، فأين كانت يومها ولماذا تركت عمر وحيدًا بالجلسة يا ترى ؟

تساءل بحيرة وهو ينظر إليها طويلاً وهي تبكي ، ولا يعرف هل هي حقًا القاتلة ، هل ذلك الملاك يستطيع أن يقتل ويؤذي أحدًا ؟

ردد بصوت خافت خرج من بين شفتيه مبتورًا متقطعًا :

- لقد ذهبت إلى المركز أمس لرؤيتك ولكنك لم تكوني هناك ، فأين كنت يا رضا ؟

نظرت له بعيون مرعوبة غير مصدقة ما يقول فهل يشك فيها غانم ، بعد أن بدأت تثق فيه ويميل قلبها إليه ، صاحت بصوت عالٍ :

- هل تشك في يا غانم ؟

رد بصوت متلعثم خرج بصعوبة من فمه :

- لا ولكنني أتساءل فقط يا رضا

- ليس لك دخل بأمري ولا أسمح لك بالسؤال فلست من رجال الشرطة ، وصرخت في وجهه حتى يخرج من الغرفة ، وبعدها أخذت تضحك بسخرية ودموعها تتساقط فلا تدرى أتضحك أم تبكي مما يحدث لها ؟

في نهاية اليوم استعادت صحتها وعادت لمنزلها ، وكانت والدة غانم تجلس مع عمر ، شكرتها رضا بفتور شديد لرعايتها لابنها ، واحتضنت ابنها بشدة وطمأنته وتحدثت معه قليلاً ودخلت لتستريح فمازالت مجهدة ، تجاهلت اتصالات غانم على مدار اليوم وأغلقت هاتفها الجوال من جديد وقررت أن تغلق على نفسها وتعيش من أجل ابنها فقط فلا أحد يستحق بالحياة فالجميع يستحق الموت ، لم تكن حزينة على موجه اللغة الإنجليزية « سالم « الذي قتل ولكنها ترى بأنه يستحق ما حدث له من عقاب ، فالجزاء من جنس العمل ، وتمنت أن يأتي موجه آخر عادل ولديه رحمة ورأفة ، يرأف لحالها وما هي فيه من عذاب ، أخذت تستمع إلى صوت الكينج محمد منير وهو يردد:

شيء من بعيد ناداني..

وأول ما ناداني جرالي ما جرالي...

شيء من بعيد ناداني ..

وأول ما ناداني جرالي ما جرالي..

ومش بأيدي يابا مش بأيدي يا با ..

ومش بأيدي يا با ...

مش بأيدي يا با

وبعدها أجهشت بالبكاء وهي تردد : ومش بأيدي يابا

وتذكرت كلمات غانم وهو يسألها أين كنت لقد بحثت عنك ولم أجدك ولماذا تركت عمر بمفرده بالمركز

***

-٥-

في قسم الشرطة جلس مفتش المباحث « حسام « على مكتبه وأمامه ورقة بيضاء وقلم ، يحاول رسم بعض الدوائر والخطوط ليربطها ببعضها البعض وهو يدخن سيجارته على طرف فمه ، كانت رائحة الغرفة خانقة من كثرة ثاني أكسيد الكربون والأدخنه الكثيفة ، وهنا دخل مساعده أيمن وجلس على الكرسي أمامه وردد:

- تقرير الطب الشرعي يا حسام بك

- مات خنقًا ثم طعنًا أليس كذلك ، هز أيمن رأسه مرددًا:

- نعم كما توقعت يا حسام بك ، لقد مات الرجل أولاً ثم طُعن بعدها ، فيبدو الأمر انتقامًا وليس من أجل القتل ، فإن كان للقتل فيكفيه خنقه ولكن الطعن بعد ذلك ..

- ربما ليتأكد من موته فقط

- ربما ولكن الغريب وكأن القاتل يعرف تفاصيل حياته ويعرف بسفر زوجته لزيارة أهلها فى طنطا ، وخلو المنزل من أبنائه الذين كانوا في الجامعات .

- ربما كان يراقبه ويعرف تحركاته جيدًا واستغل الوقت المناسب

وبعدها نفث في دخان سيجارته وهو يردد:

- وماذا عن كاميرات المراقبة للمتاجر في الشارع هل وجدتم شيء غريب يا « أيمن «

- لا ليس هناك سوى المرأة المنتقبة التي خرجت من المنزل في

نفس التوقيت وقتل الضحية وتبدو الفاعلة ، فلم يخرج أحد آخر من المنزل غريب ، والسكان ينفون معرفتهم بها .

انفعل رئيس المباحث وهو يزفر دخان سيجارته مُردِدًا :

- وهل تتبعتم المرأة ؟

- ردد بضيق :

- للأسف اختفت في أحد المتاجر ذات الأبواب الجانبية المطلة على شارع آخر ضيق ، لم يكن فيه أي كاميرات ، فليست كل المتاجر تضع كاميرات للمراقبة ، أعتقد بأنه ينبغي سن قوانين وإلزام المتاجر والبنايات بوضع كاميرات للمراقبة في الشواراع .

- معنى هذا لم نحصل على شيء من التحريات وماذا عن المدرسة المتهمة

- أعتقد يا حسام بك ليس لها دخل بالأمر ولكنها الصدفه كانت قريبة من محل سكن الرجل ،فقد كانت مع ابنها في مركز للعلاج الطبيعي قريب من منزله ، كما إنها لن تستطيع رفع الرجل وتعليقه بسقف الغرفة فليس لديها القوة لفعل ذلك .

نظر له كثيرًا لم يرد وأخذ يفكر هل تستطيع « رضا « فعل ذلك وتعليق الرجل وقتله ولكن لماذا من أجل خطاب ندب ، غير منطقي ربما للرجل أعداء ولكن الصدفة وحظ المرأة التعس من أوقعها في طريقه قبل موته بيوم واحد ؟

***

وفي المدرسة كان البعض يتعامل مع رضا بحذر شديد ، فمازال الغموض حول مقتل موجه اللغة الإنجليزية والذي هددته قبلها بيوم أمام الجميع ، ولكن الشرطة برأتها بعد التحقيق معها والتأكد من أنها ليس لها دخل بالأمر وليست الفاعلة ، ولكن كيف ستمحو الشك من قلوب الناس والمجتمع وكل من يعرف قصتها ، حاولت الابتعاد عن الجميع وحتى غانم ابتعدت عنه هو الآخر فالجميع في نظرها لا يستحق ، وحاولت التركيز في عملها وحياتها وتجاهلت نظرات الشك التي تتساءل بحيرة هل قتلت الرجل حقًا ؟

ولكنها لم تهتم بكل ذلك ولم تنهار أمام ابتعاد البعض عنها، وقررت ألا تلتفت وتهتم بعملها وابنها الوحيد حتى تستطيع تدبير الأموال اللازمة للعملية ربما استطاع السير من جديد والعودة لحياته الطبيعية ، لم تسلم من نظرات وكلمات زميلها الذي يكرهها كالموت « محسن » وزوجته ولكنها قررت ألا ترد ولا تبالي بأحد .

وافقت على درس كارم ولم يعترض والده على المبلغ الذي حددته في الحصة ، وكان الصبي يأتي لها في منزلها وكانت تعامله كابنها ، وكان هو يحب عمر ابنها كثيرًا ويساعده في الكثير من الأمور فلم يكن للفتى إخوة ولا أم بعد رحيل أمه وكان سعيدًا بتواجده معها وحديثها معه وكانت هى سعيدة باهتمامه بابنها فلم يكن له أصدقاء وبعد أن قطعت حبال التواصل مع غانم الذي كان يحبه ابنها ويتحدث معه ، لم يعد للصبي أحد ففرح بكارم وباهتمامه الزائد به .

***

-٦-

عادت في أحد الأيام منهكة من العمل ولا تشعر بقدميها فقد كان لديها حصة درس خصوصي في السنتر ، وقررت شراء طعام جاهز لابنها فلم يكن لديها وقت لإعداد الطعام ، وعندما وصلت للمنزل وقبل أن تدخل مفتاح الشقة لفتح الباب الكبير ، فوجئت بمن فتح الباب وكان « كارم » نظرت له بدهشة كبيرة ، فلم يكن موعد درسه فلماذا حضر لمنزلها ولم يحضر مدرسته اليوم ؟

تساءلت بدهشة :

- ماذا تفعل هنا يا كارم ؟

أجاب وهو ينظر لعينيها طويلاً :

- لقد اتصل بي عمر لأنه كان يشعر بالملل والخوف لأنك تأخرت وكان هاتفك مغلقًا ؟

تنهدت بضيق وهي تنظر لابنها الذي كان يجلس على مقعده المتحرك ويحاول السير متقدمًا إليها وهو يبتسم ، اقتربت منه وقبلت رأسه وهي تردد:

- لقد نسيت شاحن الهاتف في المنزل يا عمر ، وفصل الشحن لذلك لم أستطع الرد عليك يا بنى فلا تقلق ؟

- ردد الصبي بتوتر كبير :

- لقد كنت خائفًا يا أمي عليك ، وكنت أتحدث مع كارم على الواتس آب وأخبرته ، وجاء ليجلس معي لأنه شعر بمدى قلقي عليك ، ولم

أتصل بمستر غانم كما طلبت مني ، نظرت الأم بتعجب إلى كارم وإلى ابنها الذي كون علاقة صداقة سريعة مع الفتى ، وغالبًا من الفراغ الذي يعيش فيه الصبي ، فقد ابتعد عنه أصدقائه ولم يعد أحد يتواصل معه بعد الحادث وإعاقته ، حتى غانم لقد طلبت منه الابتعاد عنه وكان يحبه ويتحدث معه دومًا ، حاولت الابتسام ولكنها لم تستطع فقد كان المنزل مرتبًا أمام عينيها ، وطعام الغذاء على الطاولة ، كانت تشعر بالتعجب فرددت:

- من قام بإعداد الطعام وترتيب المنزل؟

رد كارم سريعًا :

- لقد أعددنا الطعام أنا وعمر يا ميس من أجلك ، شعرت بالغضب ولكن وجه ابنها السعيد وكأنه قام بعمل جيد سيسعدها ، لم تحاول إزعاجهما ، ولكنها قالت وهي تحاول أن تتمالك أعصابها :

- شكرًا لك يا صغيري احتضت رأس ابنها بحنان ، ونظرت إلي كارم الذي كان يحاول الاقتراب منها لتقبله هو الآخر ، فابتعدت عن عمر وابتعدت قليلاً عن كارم مرددة بحزم وهي تشير بيديها :

- أشكرك يا كارم على مساعدتك ولكن لا تكرر ما فعلت من جديد ، فأنا لا أحب أن يتواجد أحد بالمنزل في غيابي وليس في وقت الحصة ، وهنا نظر لها الصبي طويلاً ولم يرد بل رحل مسرعًا ودموعه تتساقط ، وأغلق باب المنزل خلفه بقوة وهنا نظر لها عمر بضيق مُردِدًا :

- ماذا فعلت يا أمي ولماذا تحرميني من أصدقائي وممن أحب

بالحياة فماذا فعلت لك ؟

حاولت تهدئته ولكنه كان غاضبًا ويشعر بالضيق ، هو لا يفهم فهي لا تريد مشاكل أخرى وماذا سيكون رد فعل والد كارم إن عرف بما فعله ابنه فهي لا تحب أن تكون موضع اتهام من أحد ، تعرف بأن الصبي يحتاج لأمه ويعتبرها مثلها ولكن الناس لا تعرف ذلك وهي لا تريد مشاكل مع الجيران .

حاولت التحدث مع ابنها ولكنه تحرك بالكرسي المتحرك نحو غرفته وهو يشعر بالضيق الشديد ولا يفهم لماذا فعلت أمه ما فعلت ؟

نظرت للطعام على الطاوة فقد أعد لها الفتيان ما تحبه من طعام ، فتحت الثلاجة فوجت الفاكهه التي تحبها أيضًا والعصائر فيبدو أن كارم تسوق واشترى الخضار والفاكهة من أجل عمر ومن أجلها ، شعرت بالضيق لما فعلت ومن تصرفها الحاد تجاه الصبي ، وفي اليوم التالي نادت عليه وكان يقف وحيدًا في ركن الفناء بعيدًا عن زملائه الذين يلعبون كرة القدم ، وتحدثت معه بخجل معتذره عما بدر منها من قلة ذوق وأخرجت من محفظتها مبلغًا من المال وقدمته لكارم وهي تردد:

- شكرًا لك يا كارم على ما أحضرته أمس، ولكن الصبي رفض أخذ المبلغ وهو يردد بصوت متقطع:

- لن آخذ شيء إنه من أجل صديقي عمر

- ولكنها أصرت على أن يأخذ النقود حتى تسمح له بزيارة ابنها

وقضاء الوقت معه ، فيبدو أنه وجد رفيق درب له يشبهه قليلاً في تكوينه وإنطوائه ، وهنا فرح كارم وأخذ النقود وهو يشكرها كثيرًا ، وفي تلك اللحظة أتى مستر محسن مدرس اللغة الإنجليزية والذي كان يكرهها كالموت ، وكان الغضب باديًا على وجهه فقد كلفه الموجه الجديد بالندب لمدرسة أخرى ثلاثة أيام وبمدرسته يومين ، وجُن جنونه عندما رأى النقود في يد الفتى واعتقد بأنه يعطيها لرضا ثمن درس خصوصي ، فقال بصوت غاضب :

- ارتحت الآن بعد موت مستر سالم وإبعادي عن طريقك ومن المدرسة كلها ، وأعتقد بأنك من قام بقتله ، شعرت بالتوتر من صوته العالي أمام التلاميذ وطلابها الذين تركوا ما يفعلون وأخذوا يتابعون الموقف بفضول فالرجل يقول قتلتيه فهل معلمتهم قاتله كما يتهمها المعلم ويصيح في وجهها ، وأخذ كارم الذي اتسعت عينيه من شدة الخوف والرعب ، وابتعد خطوتين للخلف محاولاً ألا يسمع ما يقال عن معلمته ، وقالت هي بغضب وبصوت عالٍ:

- لن أسمح لك يا مستر محسن بتكملة ما تقول وستدفع الثمن غاليًا إن لم تصمت ، وبعدها رحلت مسرعة لا تدري لماذا؟

لماذا يكرهها الرجل ولا يتركها وشأنها فلم لا يدعها لما هي فيه وما تعانيه من قسوة الحياة ، كانت تشعر بالصداع الشديد والدوار ، أسرعت إلى مكتب المدير لتشتكي الرجل ولكن ماذا سيفعل لها وهما متفقان على أذيتها ؟

أخرجت كل مشاعر الغضب وما تود قوله لزميلها في وجه مدير المدرسة الذي حولها للتحقيق ورحلت وهي تشعر بالغضب الشديد ،

ففي النهاية أصبحت هي المذنبة ، وكأن نظام الكون قد اختل عندها هي فقط ، وتوقف كل شيء واتحد ليقف ضدها .

في طريقها قابلت مستر غانم الذي حاول تهدئتها ولكنها لم تلتفت إليه ولم تنس بعد اتهامه لها ، فنظرت له بغضب ورحلت دون أن ترد وماذا ستقول وتحكي .

اجتمع مدير المدرسة مع مستر محسن وزوجته في غرفته ، وأخذ يتحدث معه عن ميس رضا ، ويطالبه أن يكف عن مضايقتها فالمرأة قد فاض بها الكيل ولم تعد تتحمل ، والضغط يولد الانفجار ويكفي ما هي فيه من مرض ابنها وضغوطات الحياة فردد محسن بغيظ :

- ألا ترى ما تفعله فبسببها تم ندبي ثلاثة أيام ، وأخذت هي طلابي ودروسي ، فقال المدير بحزم :

- رضا لم تأخذ منك أحد يا محسن وأنت تعرف جيدًا فالطلبة تحبها ، ويكفي ما هي فيه ، فقد رأيت اليوم الشرر يتطاير من عينيها فاتق شر الحليم إذا غضب فلا أريد مشاكل في مدرستي يا رجل هل تفهم لقد فاض الكيل ؟

- ولكنني لم أفعل شيء

- لا تحتك بها وليس لك دخل بها وإلا حولتك للتحقيق ، وأنت تعرف بأن شكوى أخرى في ملفك كفيلة بنقلك من المدرسة ومن الإدارة التعليمية كلها ، فلن أخسر سمعتي بسببك وبسبب صلة قرابتي لك يا محسن هل تفهم ، كان المدير يتحدث بغضب ممتزج بالتهديد ، فقد تجاوز محسن الحدود وهو لا يريد مشاكل في نهاية

خدمته ولقد اقترب من المعاش بعد شهور قليلة فيريد أن يخرج نظيفًا من المدرسة بكامل معاشه ، ومع تصرفات محسن ووقوفه بجانبه دومًا ضد ميس رضا سيسبب له العديد من المشاكل ، فلم تعد رضا بالمرأة السهلة التي ستتغاضى عن الأمر وتترك حقها كما كانت تفعل دومًا ، ولكن مرض ابنها جعلها صلدة وصلبه قوية كالفولاذ لا تتأثر بشيء، ونظراتها اليوم أخافته وجعلته يتراجع عما يفعله .

لم يرد محسن على المدير بل نظر له بسخرية وقام ورحل ، وهنا قالت زوجته :

- لا تغضب يا مستر راجي فانت تعرف محسن سريع الغضب ولكنه يمتلك قلبًا طيبًا ولقد فاض به الكل من ميس رضا ، فلم يعد أحد يأخذ عنده دروس خصوصية وأنت ترى الحياة وغلوها وصعوبتها .

- الطلبة تركته لأنه لا يشرح بضمير كما تفعل ميس رضا ، طريقته سيئة مع الجميع فأصبح الجميع يكرهه سواء من طلبته أو زملائه

- لا تقل هذا على محسن فهو يحب عمله ويبذل قصاري جهده ولولا ميس رضا في المدرسة لكان حالنا أفضل بكثير ، لما لا تنقلها يا راجي بعيدًا ؟

- ضحك المدير بسخرية :

- وكأنها مدرستي الخاصة وملك أبي ياسناء ، اتقي الله فلم تفعل رضا شيء ويكفي ما هي فيه وشلل ابنها الوحيد ، أليس في قلوبكم رحمة ، نظرت له بغيظ ورددت:

- يبدو أنها أثرت عليك أنت الآخر يا مستر راجي ، لا أعرف هل

تعمل لكم سحر وأعمال لتجعلكم تقفون معها ، وبعدها رحلت لتلحق بزوجها ، وهي تشعر بالغيظ والغضب الشديد مما حدث .

نظر لهم مدير المدرسة باستياء شديد وغضب لا يدري ما تلك الكراهية والحقد في قلوبهما للمرأة التي لم تفعل لهما شيء ، بل هي دومًا في حالها ليس لها دخل بأحد ، تتقي الله في عملها وليس لها شأن بأحد على الإطلاق ، فيا ليت كل المعلمين يشبهونها .

***

كان محسن يشعر بالضيق والغضب فقرر أن يذهب للمنزل ، ولن يذهب لزيارة أمه بعد العمل كما اعتاد كل خميس هو وزوجته ، فقد كان يذهب بعد العمل مباشرة يأخذ أطفاله ويقضي اليوم معها ويبيت عندها وتذهب زوجته لزيارة أمها الجمعة لتقضي اليوم هناك مع الأطفال ، لقد كان منزل حماتها بجوار منزل أمها بنفس الشارع والحي ، ولكنه اليوم كان يشعر بالضيق الشديد ولا يريد أن يتحدث مع أحد ، فطلب من زوجته الذهاب واعتذر لأمه وأخبرها بأنه سينام وعندما يسيقظ ربما أتى إليها ، أو سيأتي لقضاء اليوم معها غدًا كله ، وطلب من زوجته الذهاب وتركه يستريح وعدم إزعاجه وأغلق هواتفه الجواله ، فقد كان يريد أن ينام ولا يزعجه أحد ، كان يفكر في رضا زميلته فقد كان يحبها منذ زمن طويل ، وقبل أن تتزوج ولكنها رفضت حبه لها منذ سنوات ، نعم لا ينكر بأنه لم يخبرها يومًا عن مشاعره ولم يتقدم لطلب يدها ، ولكنها هي السبب معاملتها الجافة له كانت تضع الحدود والحواجز أمامه كما إنه رجل يأخذ وقت طويل للتفكير واتخاذ القرار ، ولم تنتظره هي لسنوات حتى

يتأكد من صدق مشاعره وتزوجت من أول من تقدم لخطبتها ، ربما لأنه لم يخبرها ، ولكن كيف سيخبرها وهي تعامله بجفاء وقسوة ، ولكن لم لم تنتظره ، كان يشعر بتناقض غريب في مشاعره لم يكرهها يومًا ، ولا يدري لم يضايقها وينتقم منها على شيء ليس لها دخل فيه ، ولكن كيف لا دخل لها بما يعانيه من عذاب وحرقه وهو يراها كل يوم أمام عينيه ، حتى بعد أن تزوجت وانفصلت وكيف وهو يرى نظرات العشق من « غانم « لها ، كل ذلك كان يشعره بالضيق هو يريدها أن ترحل من المدرسة ، لا يتعاطف مع ظروفها ومرض ابنها فهي تستحق ما هي فيه من عقاب ، ويعتقد بأنه عقاب الله لها لأنها تركته ، ولكن كيف تتركه ولم يخبرها بشيء ولم يطلب منها الانتظار ، لا يدري .. زفر بقوة وأشعل سيجارة ونفثها بقوة وأخرج معها كل ما يشعر به من تناقض وغليان في صدره ، وما بين الرغبة في تحطيمها وإذلالها واحتضانها بقوة وضمها إلى صدره تناقض وغليان بركان ثائر في صدره ليس له دواء ولا شفاء سوى الانفجار مرة واحدة لإغراق كل شيء أمامه بلا رحمة ولا شفقة ، غليان في صدره يجتاح كيانه ويزلزل فؤاده ، أحب أم كراهيه بداخله لها لا يدري ، قطع حبل أفكاره صوت جرس الباب الذي يرن بتواصل ولا يتوقف كأفكاره ومشاعره المضطربه التي لا يستطيع إيقافها ولا التحكم فيها فخرجت عن السيطرة ، ولملم جراحه بداخله وزفر غاضبًا وهو يردد بضيق :

- هل عادت سناء للمنزل ألم أخبرها بأنني أريد البقاء في المنزل بمفردي للراحة ، دومًا غبية ولا تفهم ما أريد ، ولماذا لم تستخدم مفتاح المنزل ...

فتح باب المنزل بضيق وهنا نظر بتعجب وتراجع للخلف بتوتر وردد :

- ماذا تريدين ؟

***

بعد صلاة الجمعة كانت سناء تشعر بالقلق الشديد على زوجها ، فمازال هاتفه مغلقًا منذ أمس ولم تكن من عاداته إغلاق الهاتف الجوال كل تلك الفترة ، حتى أمه كانت قلقه عليه وتشعر بأن هناك شيء سيء وكانت سناء تحاول طمأنتها ولكن قلبها هي الأخرى غير مستريح ، كانت تريد العودة للمنزل للاطمئنان عليه ولكنها كانت تعرف ردة فعله ، إن ذهبت بدون أمره ، ولقد أخبرها بأن تذهب لبيت عائلتها كما اعتادت وسيقضي اليوم مع عائلته ويأتي ليأخذها في المساء ، كانت لا تدري هل تذهب لأمها كما طلب منها أم تنتظر عودته أولاً ، وضعت الهاتف جانبًا وهي تنظر لحماتها بتوتر مُرددة:

- مازال هاتفه مغلقًا وهذا شيء غريب ، فأنت تعرفين محسن منظم ودقيق في مواعيده ولن يترك الهاتف مغلقًا يومًا كاملاً بدون الاتصال بنا وسماع صوت الطفلين يا أمي والاطمئنان عليك .

رددت الأم بصوت قلق يشعر بالخوف من المجهول وشعور قوي بأن شيء سيء قد حدث :

- أشعر بأن شيء حدث لابني يا سناء

- لا تقولي هذا الكلام ، ربما نسى أن يشحن الهاتف فقط وسيأتي بعد صلاة الجمعة إن شاء الله ، وهنا قطع حديثهما ابنها الصغير الذي

لم يكمل التاسعة من عمره :

- ماما أين أبي ولماذا رحل في الليل ولم يجلس معي ؟

نظرت له الأم بدهشة :

- هل جاء والدك أمس يا مالك

- نعم يا أمي جاء وزارني ليلاً وكانت الغرفة مظلمة وكنت خائفًا بشدة منه لأن وجهه كان مليئًا بالدماء، وطلب مني الاعتناء بكم وأن تسامحوه وبعدها رحل وتركني وحيدًا أبكي في الظلام .

وهنا جلست الأم على أقرب مقعد ورددت :

- أريد ابني الآن يا سناء فهو ليس بخير ، الأطفال يشعرون بكل شيء

- صاحت الأم في وجه الصبي مرددة :

- ما الذي تقوله يا مالك فلقد كنت تحلم يا بني ووالدك بخير ، هيا اذهب والعب مع أخيك سنذهب لجدك بعد قليل ، وقف ينظر لها بعيون مذعورة لا تعرف حقًا ما رآه كان حلمًا وكابوسًا أم حقيقة ، فصاح وهو يبكي :

- أريد الذهاب إلى المنزل لرؤية أبي يا أمي فلن يحضر أبي أبدًا ، كانت الجدة تنظر للصبي ودموعها تتساقط وقلبها يصدق ما يردد الصبي فلن ترى ابنها مرة أخرى هي تعرف ، وهنا استشاطت الأم غيظًا وقامت بنهر الصبي حتى يرحل من أمامها ، ولم تعد تتحمل فقررت أن تترك الصبيان وتذهب للمنزل وليحدث ما يحدث من

تعنيف زوجها وغضبه ، ولكنها تريد الاطمئنان عليه ، ارتدت ثيابها وذهبت مسرعة ورفضت اصطحاب حماتها معها ، كانت تدعو الله أن يكون كل شيء بخير ، هي تعرف بأن زوجها لم يحبها يومًا ولكنه أيضًا لم يهنها ولم يبخل عليها ، ربما لم يحبها ولكن في النهاية كان يحترمها ويقدرها كزوجته وأم لأبنائه ولم يخنها يومًا طوال زواجهما الذي استمر عشرة اعوام ، ربما لم يحبها وكان قلبه مع أنثى غيرها لم تعرفها ولم يتحدث في الأمر من قبل ، ولكنها كأنثى تعرف وتشعر حتى عندما يكونا معًا في أقرب الأوقات وتلامس الأجساد فلم يكن قلبه يومًا معها ، ربما الجسد والعقل معها ولكن الروح والقلب في مكان آخر يسبح هائمًا بعيدًا عنها ولا تدري أين ومع من ؟

كانت تشعر بالغيرة في بعض الأوقات ولكنها لم تقم بافتعال المشكلات يومًا ، ففي النهاية هو زوج وأب مثالي وكان هذا بالنسبة لها يكفي .

ولكنها قلقة عليه رغم جفائه معها ، تخاف أن يكون حدث له مكروه فماذا ستفعل بدونه فهي بدونه تائهة لا تساوي شيئًا ، أخذت تبعد كل تلك الأفكار السيئة عن عقلها وهي بالطريق تستقل سيارة الأجرة وتدعو الله أن يكون كل شيء بخير .

غادرت السيارة بعد دقائق مرت وكأنها دهرًا كاملاً ، شاهت سيارة زوجها أمام مدخل البناية ، فلم يغادر المنزل بعد أو حدث شيء وغادر بدونها ، شعرت بالتوتر الشديد وهي تتذكر كلمات ابنها مازالت تتردد في أذنيها ، أسرعت تركض إلى منزلها كان المصعد معطلًا في الطابق الرابع ، لم تنظر المصعد أخذت تركض مسرعة وهي تصعد

الدرج للدور الخامس وذكرياتها مع محسن تروادها صوته وغضبه وحنانه وقسوته تحكماته في الأمور، اهتمامه بأطفاله كل شيء كان يمر أمام عينيها سريعًا كشريط الفيديو وفيلم سنيمائي ، وصلت للطابق الخامس حيث شقتها وطرقت الباب كثيرًا وكانت تشعر بالتعب وتلهث من المجهود كانت دقات قلبها متسارعة كأنفاسها اللاهثة ، خرجت جارتها بالشقة المقابلة مع صوت الطرقات العالية والنداء ، فنظرت بتعجب للمرأة وقالت :

- ماذا حدث يا سناء هل كل شيء بخير ؟

- التفتت لها بخوف وهي تقول :

- لا أعرف ولكن محسن لا يرد منذ أمس ومازالت سيارته أسفل المنزل ، وأنا قلقة عليه ؟

- ردت الجارة بقلق:

- افتحي الشقة بالمفتاح يا سناء هيا لم تطرقين الباب

وهنا تذكرت المفتاح فقد كان زوجها يفعل كل شيء ولم تغادر المنزل يومًا بدونه ، فيفعلان كل شيء معًا فتناست أمر مفتاح المنزل ، أخرجت المفتاح سريعًا من باب الشقة ، وحاولت إدخاله وفتح الباب بيد مرتعده خائفة ، وأخيرًا انفتح الباب ودخلت وهي تنادي :

- محسن هل أنت هنا ، كان الظلام يغرق كل شيء فلم يكن هناك مصباح مضاء بالمنزل لترى شيء ، أسرعت تجاه النور وأنارت الصالة وهنا شهقت برعب وسقطت فاقدة الوعي ، فقد كان زوجها معلقًا

في مروحة السقف في الصالة ومشنوقًا والحبل ملتف حول رقبته والمروحة المعلقة في منتصف الغرفة تدور وتلف بجسده الذي خرج لسانه وتدلى خارج فمه في منظر مرعب مع وجهه الأزرق وتيبس جثته ، والدماء المتجلطة تغرق الأرض أسفل منه ، وبطن مبقور خرجت أمعائه ، وعيون جاحظة تنظر للفراغ بلا هدف ، في منظر لن تنساه مدى الحياة ولن يخرج مخيلتها ، أخذ الزوج يلف ويدور في مروحة السقف كما تلف عيونها بلا توقف ولا هدف ، ويدور عقلها كالأرجوحة فمن الذي قتل زوجها بتلك الطريقة البشعة لتخرج أمعائه وأحشائه بتلك الطريقة المقززة ، سقطت فاقدة الوعي بعد صرخات طويلة أيقظت كل سكان الحي وإن كان سكان القبور يسمعون كانوا سيستيقظون من صوت صرخاتها الملتاعة التي لم تصدق ما رأت عينيها .

***

-٧-

اجتمع رجال البحث الجنائي ورجال الشرطة والمسعفون في منزل الأستاذ محسن ، لرفع البصمات والبحث عن الجاني عن القاتل ، فمن الذي فعل بالرجل ما مافعل من قتل وتمثيل بالجثة بتلك الطريقة البشعة ؟

كانت رائحة الجثة بدأت في الظهور فقد مر أكثر من يوم على قتل الرجل مع ارتفاع درجات الحرارة ساعدت على ظهور الرائحة التي امتزجت بزفرة الدماء المتجلطة على الأرض والتي صفيت من جسد الرجل فقد طعن الرجل أكثر من طعنه في صدره ، نظر حسام رئيس المباحث وهو يضع منديلًا على أنفه مُردفًا بتعجب :

-مدرس ثانوي متزوج وسمعته طيبة بجيرانه ، ومن هيئة الشقة يبدو بأن القاتل لم يسرق شيء ..

ردد مساعده « أيمن » :

- يبدو انتقامًا يا حسام بك فالغل واضح في عدد الطعنات للضحية ، فيبدو إنه طعن وهو يخنقه ، مثل ما حدث للموجه وقريب الرجل الذي قتل منذ عدة أيام

- وهل تعتقد بأنه نفس القاتل يا أيمن ؟

- إحساسي يقول نعم ، ولكن ما الدافع وما الرابط بين الضحيتين ليموتوا بتلك الطريقة البشعة فمن الذي يكرههما معًا بتلك الطريقة ، وما الرابط بينهما نريد حل تلك الشفرة وبعدها سنجد القاتل .

- وماذا عن الزوجة أين هي الآن ؟

- عند أحد الجيران مازالت مصدومة لا تصدق ما رأت ، ويحاول الجيران تهدئتها يا حسام بك .

ألقى مفتش المباحث نظرة سريعة على المكان بعيون خبيرة ونظر للجثة التي كانوا يلتقطون لها مئات الصور ، ومازال رجال البحث الجنائي يبحثون في المكان عن البصمات والأدلة ، ردد وهو ينظر لكل ما حوله بتفكير وعقله بعيدًا في مكان آخر :

- إذاً هيا بنا لنستمع لأقوال الزوجة ونعرف ما الذي حدث ؟

ذهبا إلى الشقة المجاورة لشقة الضحية ، وكان الباب مفتوحًا ورجال الشرطة في كل مكان يبحثون عن الأدلة في الممر بين الشقتين ، فربما سقط شيء من القاتل أو ترك أثرًا وهو يغادر المكان ، دخل شقة الجيران وكانت الزوجة منهارة وتبكي بهستريا ويلتف من حولها الجيران في محاولة لتهدئتها ، اقتربا الشرطيان منها وسألها حسام بشك ، فطبيعته الشك في كل شيء وفي كل من كانت له علاقة بالضحية فربما كان هو الجاني من يدري ، فقد شاهد الكثيرين والعديد من المجرمين ولا يتعاطف مع تلك الدموع فالجميع في نظره لهم دخل ومتهمون حتى تثبت براءتهم وتنتهي التحقيقات وتتضح الصورة .

فكم امرأة بكت أمامه وأقسمت بأنها لا تعرف كيف حدث ما حدث ، والنهاية يكتشف بأنها الجانية ، فتعلم إبعاد مشاعره جانبًا واستخدام القسوة ، فالقسوة تخيف والضغط على الأعصاب يجعل المجرم ينهار بسهولة ويعترف ، وهذا ما يحبه في النهاية ، إنهاء القضية وعدم

إفلات الجاني من العقاب ، لا يحب الخسارة ولا يستسلم لليأس ولا يكتب على ملف قضية الجاني مجهول الهوية ، فمادام هناك ضحية فهناك جاني ويستحق العقاب .

أزاح أحد المقاعد دون استئذان وجلس وهو يردد بصوت حاد :

- أتسمحون لي في غرفة خالية لاستجواب الجميع رجاء، وافق الجار على مضض وأدخله غرفة الصالون المغلقة التي لا يدخلها سوى الضيوف والغرباء ، فهي الغرفة الوحيدة التي يمكن غلق بابها بإحكام ،

طلب أيمن من زوجة القتيل المنهارة أن تدلي بأقوالها أمام رئيس المباحث ، وكانت لا تشعر بشيء مما يجري حولها ولم تخبر حماتها بعد وطفليها خوفًا عليهم ، ولكنها أخبرت أخوا زوجها وأخاها عن طرق أحد الجيران ، الذين أتوا مسرعين لا يصدقون ما قيل لهم ، فمن الذي فعل ذلك في أخيهم فليس له أعداء ولا يحب المشاكل ولا الخلافات مع أحد .

سارت المرأة خلف الشرطي للتحقيق ، ببطىء وهى تتسند على الجدران لا تستطيع ، تشعر وكأنها ستسقط فاقدة الوعي في أي لحظة من شدة الصداع النصفي الذي يفجر رأسها ، ولكنها تحاول التماسك .

ألقت بجسدها المنهك على أقرب مقعد ، رفض الشرطي دخول أحد الغرفة إلا زوجة القتيل ، جلست وجسدها يرتعد خوفًا واضطرابًا فنظرات الشرطي لها غريبة ، ولماذا يحقق معها وما دخلها هي بالأمر ، أخذ رئيس المباحث يتفحص المرأة جيدًا ويركز على عينيها

متسائلًا هل هي القاتلة ، كانت امرأة متوسطة الجمال ، في منتصف العمر ممتلئة الجسد قليلاً تبدو قوية البنية ، فيمكنها حمل القتيل إن أرادت ، نظر ليديها فوجد العديد من الجروح فأطال النظر ، مما جعلها ترتبك وتحاول إخفاء يديها بضمهما معًا ، فرفع حاجبيه مرددًا :

- هل قاوم زوجك كثيرًا قبل قتله فأصابك بتلك الخدوش في يديك ، وهنا نظرت له بفزع فماذا يقول فقالت بتلعثم وصوت مختنق خائف :

- ماذا تقول ؟

هل تتهمني بقتل محسن ؟

رد رئيس المباحث بلامبالاة قائلاً :

- ولكنني لم أقل ذلك لقد أثارت تلك الخدوش على يديك الفضول لمعرفة سببها

- ردت من بين دموعها :

- من ابني أمس فلدي طفل مصاب بالتوحد ويُصاب بحالات من الهيستريا مرة واحدة إن رفضنا له شيء أقسم بالله هذا كل شيء وسبب تلك الجروح في يدي يمكنك التأكد من حماتي فقد حدث كل شيء في منزلها أمس .

- ردد ببرود :

- سيثبت الطب الشرعي صحة ما تقولين يا سيدتي ، وبعدها ردد

بصوت عالٍ :

- أخبريني إذاً ما الذي حدث ومتى شاهدت زوجك آخر مرة

- قالت من بين دموعها أقسم لك لم أفعل شيء ، فكيف أقتل محسن زوجي أنا بريئة.

قاطعها مُردِدًا :

- متى آخر مرة شاهدت فيها زوجك ولماذا بات في الشقة بمفرده أمس لقد أخبرنا الجيران بأنكم دومًا لا تتواجدون بالمنزل ليلة الخميس والجمعة .

- نعم نذهب لبيت حماتي للمبيت معها والجمعه أذهب لبيت أمي أقضي معها اليوم ونعود السبت صباحًا .

- وهنا تساءل حسام بفضول :

- ولماذا بات زوجك بمفرده بالشقة أمس ولم يذهب معكم لمنزل عائلته

- لقد كان يريد الجلوس بمفرده ولا يريد أن يزعجه أحد فقد كان يشعر بالضيق الشديد

- وما الذي كان يضايقه

- لقد حدث مشادة كلاميه مع مدير المدرسة بسبب ميس رضا زميلته ومشاكل بينهما ، وكان متضايقًا بشدة لوقوف المدير وتحيزه لرضا

- وهنا نظر حسام إلى أيمن نظرة ذات معنى ، فقد ذُكر اسم مدرسة

الإنجليزية مرة أخرى في قضية قتل بنفس الطريقة .

- ردد أيمن بشرود :

- أخبرينا عن تلك المشاكل بينه وبين زميلته يا سيدتي .

زفرت بضيق مُرددة:

- هى السبب لقد كانت تجذب التلاميد ليأخذوا عندها دروسًا خصوصية ، وتسببت في تثبيت ندب محسن وانتقاله لمدرسة أخرى وكان كل هذ يؤثر في عمله وعلى دروسه وطلابه ، فهي تتعامل بخبث شديد كانت تضايق زوجي .

- ردد حسام بعدم فهم :

- لا أفهم ما الذي تفعله زميلته في حقه وتسبب له المشكلات .

رددت بتلعثم ، لقد كانت هي أيضًا لا تفهم سبب كراهية زوجها الشديدة لميس رضا فقالت :

-ما قلته لك تأخذ الطلاب منه وتسرقهم بلا ضمير بطريقتها الخبيثة وحديثها مع الطلاب الذين يحبون طريقتها

- هل تقصدين بأن سمعتها سيئة

- لا لا لم أقل ذلك .

نظر لها طويلاً وهو يردد بصوت عميق :

- أخبريني ما الذي تقصدينه إذاً

- زفرت بتوتر ممتزج بالخوف والحزن والقلق :

- لقد كانت تشرح بضمير تعامل التلاميذ بمودة ولطف وتصاحبهم ليحكوا لها كل شيء كأمهم ، لذلك كان التلاميذ يحبونها في الحقيقية

- هذا شيء جيد ما الذي يضايق زوجك منه

- لم تكن تدري ماذا تقول فهي حقًا لا تفهم ولكنها استجمعت ما تبقى بداخلها من قوة لتكمل بصوت مرتجف :

- لقد كان الطلاب يذهبون للدروس الخصوصية لديها ويتركون محسن ، وأنت تعلم أن الحياة أصبحت صعبه والمرتب لا يكفي ، كل هذا كان يضايقه بشدة

- رد أيمن بضيق مُردِدًا:

- ولكن إن كان هو الآخر يشرح بضمير كانت التلاميذ ستأخذ عنده ، وهل هناك عداوة مع زوجك لأي شخص .

- ردت بسرعة :

- لا لم يكن لديه مشاكل مع أحد سوى رضا الذي هددته بأن يذهب للجحيم أمس ، وأمام العديدين في المدرسة

- هل تتهمينها بقتل زوجك

- خفضت رأسها ولم ترد ، فهل تتهمها فهي تعرف بأن رضا لن تفعل ذلك ولكن لم لا ، سمعت السؤال يتكرر مرة أخرى هل تتهمينها بقتل زوجك ؟

- لا أعرف فلا أحب الظلم لأحد ، وبعدها أجهشت بالبكاء الشديد ،

أخذا ينظران لها بشك كبير .

***

جلست رضا تشاهد التلفاز مع ابنها ويضحكان باستمتاع وهنا سمعت الطرقات على باب المنزل ، أسرعت لتفتح الباب وكان طليقها كريم ، واقفًا ينظر لها بسخرية زفرت بضيق ، :

- ماذا تريد ؟

رد بسخرية:

- أريد ابني يا معلمة الأجيال فهل ستحرميني من ابني

ردت بضيق :

- الوقت متأخر يا كريم وأنا لا أحرمك من ابنك فيمكنك تحديد موعد وتقابله خارج المنزل في أي مكان لن أعترض على ذلك .

- رد بغضب وبصوت عالٍ :

- آتي في الوقت الذي يعجبني فمازلتِ زوجتي ولم ألق يمين الطلاق

شعرت بالغيظ الشديد لما يقول ، فكم تكره ذلك المتعجرف المغرور فلم لا يرحل ويموت فقالت بغضب :

- لست ولن أكون زوجتك ، فإن لم ترحل الآن سأطلب الشرطة ، وهنا ضحك بسخرية من كلامها مُردفًا:

- الشرطة ستأتي من أجلك أنتِ فأنتِ من تستحقين الإعدام ،

تحرمين أب من ابنه المعاق وهنا شعرت بالاختناق وتسارعت دقات قلبها ، فالصبي لا يحب أن يقول أمامه أحد بأنه معاق ، فأتى من الداخل وهو يجر كرسيه المتحرك وردد بصوت منخفض:

- لماذا أتيت أنا أكرهك .

- شعر كريم بالغضب من كلمات الصبي فاقترب منه مُحاولًا صفعه على وجهه وهو يُردد:

- أنت عديم التربية لم تهتم أمك بتربيتك ، ومن أين ستأتي بالوقت وهى تفكر بالزواج والرجال ، اقتربت منه بغضب وأمسكت يديه وحاولت دفعه للخارج ولكنه أصر على البقاء ، ولقد كانت هي ضعيفة وهشة وكان هو قوي الجسد ، صرخت في وجهه بغضب :

- اخرج من منزلى حتى لا أتصل بالشرطة ، ولكنه لم يخرج ولم يستمع لما تقول لقد كان غاضبًا منها يريد إذلالها ، أسرعت إلى هاتفها لتتصل بالشرطة ، فأمسك يدها بقوة وهو يردد:

- هل ستحضرين الشرطة إلى زوجك يا غبية ، شعرت بضغط يديه القويتين على معصمها الذي كان سيتهشم من شدة الضغط ، ورأت الدموع تتساقط من عيون عمر وهو يردد:

- اترك أمي ..

لم تشعر بما تفعل ولكنها حاولت الإفلات من بين يديه ، لم تسطع لقد كان يتلذذ بآلامها وعذابها ، مدت ذراعها الآخر لتمسك بأي شي يطوله ذراعها ، فمسكت زهرية من الفخار ، فضربته بها على جبهته وهي تردد :

- ابتعد عني أكرهك ، شعر بقوة الضربة التي أصابته بجرح في جبهته ، وتساقطت قطرات الدماء الساخنة على وجهه وعينيه ، فترك معصمها وحاول إيقاف الدماء وهو يصرخ غاضبًا :

- ماذا فعلتِ يا غبية سأقتلك ، سأقتلك كان رغم ضخامة جسده وعضلاته المفتوله يهتم بشدة ويخاف على نفسه ، وأن يصيبه أذى ، ابتعدت بخوف وهي ترى الدماء تتساقط من وجه الرجل وصرخ الصبي بفزع ، وهنا اقتحم رجال الشرطة المكان وكان كريم يحاول الإمساك بها لأذيتها ، نظر أيمن بدهشة لما يحدث فيبدو أنه جاء في الوقت المناسب قبل أن تحدث جريمة قتل أخرى ، صرخ كريم وهو يرى رجال الشرطة مُردفًا:

- لقد حاولت قتلي تستحق الإعدام ، صرخ الصبي بفزع :

- لم تفعل أمي شيء ، ولكنه هو الشرير أنا أكرهه.

صاحت رضا من بين دموعها :

- لم أكن أقصد أذيته ولكنه هو من تهجم علينا و كان سيقتلني ورفعت معصمها للشرطي ليرى كيف آذاها ، وهو من تهجم عليها في منزلها .

- نظر أيمن للرجل متسائلاً من يكون :

- فرد أنا زوجها وتحرمنى من ابني

- فرددت بسرعة :

- لا لا ليس زوجى بل هو طليقي

- رد بغضب :

- لم أطلق والطلاق باطل فلم أكن أعرف

- صرخت بغيظ :

- كاذب ولقد أعلمتك بالأمر وأرسلت لك المحضر ليخبرك على عنوانك لم لا تتركني وشأني أربي ابني وأسعى في محاولة لعلاجه مما هو فيه بسببك أنت ، فكيف ستقابل الله يومًا .

حاول أن يضربها من جديد أمام رجال الشرطة وصرخات الصبي المرعوبة ولكن أيمن أمسكه من ذراعه مُردِدًا:

- يبدو أنك فقدت عقلك يا رجل ويومان في قسم الشرطة سيعيدونه إليك ، وأمر الجنود باصطحابه إلى قسم الشرطة وكان يحاول إيقاف النزيف في جبهته وهو يردد :

- هي من تستحق الإعدام هي من حاولت قتلي والدماء أمامكم .

نظر لها أيمن طويلاً مُردِدًا :

- ما الذي يحدث هنا ؟

احتضنت ابنها وهي تربت على رأسه مُردده:

- لقد رحل يا بني لا تخف من شيء مادمت بجوارك . وبعدها التفتت لضابط الشرطة و ردت من بين دموعها :

- هكذا هو دومًا طليقي ، يتمنى لي أي مصيبة ليرسلني إليها ولا يهمه ماذا سيفعل الصبي بدوني وبعدها أجهشت بالبكاء ، وهي تردد:

- الحمد لله أنكم أتيتم في الوقت المناسب ولكن من أخبركم بأن كريم تعدى علي ، رفعت رأسها لمساعد رئيس المباحث وإلى كل هؤلاء الجنود ، فيبدو أن هناك شيء خاطيء فكيف عرفوا بالأمر لا تدري .؟

نظرت لهم بدهشة منتظرة الإجابة عما يجول في عقلها ، وهنا صدمتها إجابة الشرطي وهو يردد بحدة :

- لقد قُتل مستر محسن زميلك بالعمل ونحن هنا من أجل التحقيق بالأمر ، رددت بعدم فهم :

- ماذا تقول ، قتل مستر محسن؟

- نعم لقد قتل أمس الخميس في منزله الساعة الثالثة عصرًا ، فأين كنتِ في الساعة الثانية ظهرًا وحتى الرابعة ؟

كانت لا تصدق ما يقوله الشرطي ، ولماذا يقتل الرجل ، هي كانت تكرهه ولكن لا تتمنى له الموت والقتل ؟

فرددت بصوت مبحوح خرج بصعوبة من حلقها الجاف :

- لقد خرجت من المدرسة الساعة الواحدة والنصف ، عدت للمنزل في تمام الثانية وأخذت عمر ابني وذهبنا إلى جلسة العلاج الطبيعي في تمام الثانية والنصف وبقينا بالمركز ساعة كاملة وبعدها رحلنا في تمام الثالثة والنصف ، وتناولنا طعام الغذاء في مطعم قريب من المركز وعدنا للمنزل في الخامسة والنصف .

نظر لها الشرطى بتعجب مُردفًا :

- تتذكرين كل شيء بالدقيقة يبدو الأمر غريبًا قليلاً ، حتى موعد عودتك للمنزل ، زفرت بضيق وهي لا تفهم ما الذي يقصده ولكنها رددت :

- لأنه كان لدى درس خصوصي بالمنزل فكان لابد من العودة قبل السادسة ، ولذلك كنت أنظر في الساعة كثيرًا حتى لا أتأخر هذا كل شيء .

- وما أسماء الطلاب الذين كان لديهم درس عندك أمس

- طالب واحد يدعى كارم ، وقد جاء متأخرًا ربع ساعة عن موعده ، وقال بأنه كان يشتري بعض الأشياء وتأخر في المواصلات .

رفع حاجبيه لأعلى وردد بتعجب :

- كلام مرتب ومُنسق وكأنه كان مُعدًا مُسبقًا ، شيء غريب حقًا يا ميس رضا ، فردودك جاهزة

ردت بسرعة :

-لأن هذا ما حدث فعلاً ولم أكذب أو أقول شيء غير صحيح أقسم لك .

نظر لها طويلاً وهو يحاول معرفة ما يجول في خاطرها ، فقد أجابت على أسألته بسرعة غريبة ، تبدو المرأة بريئه ولكن لم لا يشعر بالارتياح لها ، لا يدري فصراحتها مُريبة ومُقلقة ، زفر بضيق مُردِدًا :

- هل ترتدين النقاب يا ميس رضا..

رددت بدهشة :

- أرتدي النقاب لا أفهم السؤال ، وإن كنت أرتديه فلما سأقف أمامكم بوجهي ، نظر أيمن لرجال الشرطة وأشار برأسه لأعلى ، يبدو أنهم كانوا متفقين وفهموا الإشارة سريعًا ، وأسرعوا بتفتيش المنزل ، فقالت هي بتوتر وهي ترى الرجال ينتشرون في كل شبر بالمنزل :

- ماذا يحدث يا سيدي لا أفهم ماذا تفعلون بالمنزل فأنتم تخيفون الصبي

ردد بلامبلاة وهو يضع يديه خلف رأسه :

- إجراء روتيني ولدي أمر من النيابة بتفتيش المنزل لا تقلقي سيمر كل شيء سريعًا .

وهنا خرج أحد الجنود ويمسك في يديه قطعة من القماش السوداء تبدو لتغطية الوجه ، فردد أيمن بانتصار :

- ما هذا ؟

فرددت بصوت متلعثم ، إنه نقاب أمي رحمها الله فقد كانت ترتديه طوال حياتها

ابتسم بسخرية مُردِدًا :

- وما الذي أتى بنقاب أمك في منزلك

- ردت بسرعة :

- هذا منزلها وليس منزلي فلقد أتيت للعيش هنا مع ابني بعد طلاقي من زوجي أقسم لك لم أفعل شيئًا .

نظر لها طويلاً وردد بقسوة :

- لكل شيء وسؤال عندك إجابة سريعة له يا ميس رضا وهذا شيء غريب ، ستأتين معنا لاستكمال التحقيق في قسم الشرطة

نظرت له بفزع ورددت :

- قسم الشرطة ولكني لم أفعل شيئًا أقسم بالله .

- رد بقسوة ولا مبالاة :

- إنه الروتين المُتبع ولابد من استكمال التحقيق في قسم الشرطة كما تعرفين .

- ردت بفزع :

- أنت ترى ابني كيف سأتركه بمفرده

نظر الشرطي بإشفاق للصبي وردد :

- يمكنك الاتصال بأحد من معارفك للاهتمام بالصبي

- ولكن ليس لي أحد فقد رأيت والده ، وهنا تساقطت دموع الصبي ومشهد الشرطة تأخذ أمه واتهامها في جريمة قتل أمام عينه ، فلماذا يتهمون أمه في كل مرة ولم لا يصدقونها ، وهنا اقتربت منه الأم واحتضنت رأسه وهي تردد:

- لا تخف سيكون كل شيء بخير ، يا عمر ، اتصل بكارم ليجلس معك حتى أعود ، وهنا لم تكمل كلماتها فوجدت كارم يدخل وجسده يرتعد من الخوف وهو يرى رجال الشرطة في كل مكان ويمسكون بذراع مُدرسته ، فنظر بعدم فهم وعيون زائغة لا تعي ما الذي يحدث ، لقد أتى ليصطحب عمر في نزهة كما وعده أمس ويتمشي

به قليلاً في الشوارع المجاورة ويتناولان الأيس كريم ، لقد استئذن والده ، وكان الأب سعيد بتغير حاله وتكوين صداقات جديدة ، كان الرجل سعيد بتغير ابنه وارتباطه بصديق جديد وبمعلمته التي تعامله كابنها تمامًا وتعوضه حنان وفقد الأم .

وكان هو عريس جديد ويريد الاهتمام بزوجته الجديدة بعيدًا عن مشاكل ابنه التي لا تنتهي ، فسافر في عطلة لقضاء شهر العسل مع زوجته الجديد تاركًا كارم مع الخادمة في المنزل يشعر بالأمان لوجود ميس رضا في حياة ابنه .

***

-٨-

جلست رضا أمام رئيس المباحث في قسم الشرطة ودموعها تتساقط لا تفهم لماذا هي ولماذا يتهمونها بقتل زميلها وما الذي يحدث لها ؟

سمعت صوت رئيس المباحث يُردد :

- أخبريني بصراحة حتى ينتهي الأمر سريعًا لماذا قتلتِ الرجل ؟

نظرت بعدم تصديق وردت من بين دموعها برجاء :

- أقسم لكم لم أفعل شيئًا ولماذا أقتله ؟

- ربما تخلصًا منه لأنك كنتِ متضايقه من المرحوم بعد آخر مشادة بينكم قبل قتله بيوم ، وهناك شهود على تهديدك له .

- لا لا لم أهدد أحدًا لقد رحلت وكنت غاضبة فقط من تصرف الرجل فليس من حقه أن يتدخل في عملي وأن يعاملني بتلك الطريقة أمام طلابي ، وماذا علي أن أفعل وهناك من يهينني ويحاول تدمير سمعتي دومًا أمام التلاميذ ، أخبرني ماذا أفعل أمام قوة الرجل وغطرسته؟

وبعدها أجهشت بالبكاء ، نظر لها « أيمن » وهو يحاول الدخول إلى أعماق عقلها ليعرف الحقيقة ، فهل هي القاتلة وما تفعله كله تمثيل ، أم هي حقًا ضحية ومظلومة ؟

ردد بصوت عالٍ :

- كفي تمثيل رجاءًا وأخبريني ماذا يفعل النقاب في غرفتك وبين

ثيابك ، ولقد شوهدت سيدة ترتدي النقاب تخرج من منزل القتيل بعد قتله بدقائق وهنا ردت بسرعة :

- النقاب ليس ملكي لقد أخبرتكم أنه يخص أمي رحمها الله ، فأنا أعيش في شقتها منذ شهور ، ولم أتخلص من أغراضها ، وانتظر سوف أؤكد لك كلامي ، وهنا حاولت إخراج هاتفها الجوال من حقيبة يدها ، فنظر لها بشك ، فقالت :

- لا تقلق سأريك صور لأمي رحمها الله فقط ، أخرجت الهاتف وأخذت تبحث عن الصور ، وأخرجت صور على شاشة الهاتف لها ولابنها ولسيدة ترتدى النقاب وكانوا في مطعم وأخرى في حديقة ، صور كثيرة أخذت تريها للشرطي ليتأكد بأن أمها كانت ترتدي النقاب ، وبعدها قالت :

- ولماذا تشك في سيدة ترتدى النقاب وخرجت من المنزل ربما ليس لها دخل بالأمر، وكانت في زيارة لأحد أقاربها فلماذا تظلمها لا أفهم ؟

نظر لها طويلاً ولم يرد علي سؤالها ، وهنا دخل مساعده وكان يحمل تقرير الطب الشرعي بين يديه ، وهنا قرأة وبعدها أطلق ضحكة عالية ، والتفت إليها مُردفًا:

- تستطيعين المغادرة ولكن ربما احتجنا لأقوالك مرة أخرى فلا تغادرى البلاد ، فنظرت له بسخرية :

- أغادر البلاد ، قل لا تغادرى المنصورة إن استطعت ، وكيف أغادر وأترك ابني القعيد وبعدها لملمت جراحها وغادرت قسم الشرطة

وهي تدعو الله ألا تعود لذلك المكان البغيض مرة أخرى ، ولكنها كانت تفكر لماذا يحدث لها هذا ، وهذه ثاني جريمة قتل يتهمنوها فيها ، والغريب بأن بينها وبين القتيل خلافات ، فهل يريد أحد أن يزج بها إلى الجحيم ، لا تدري لما جاءت صورة كريم طليقها أمام عينيها وهو يبتسم ساخرًا ، هزت رأسها تحاول إبعاد الفكرة عن رأسها فلن يفعل طليقها ذلك ، فهو أجبن من قتل دجاجة ، فهو طاووس مغرور ولكنه من الداخل فارغ وجبان ، حاولت الاتصال بابنها للاطمئنان عليه ولكن الهاتف كان مغلقًا ، شعرت بالقلق الشديد فماذا حدث ؟

***

- تقرير الطب الشرعي يؤكد تخدير الضحية قبل خنقها ، وبعدها طعن الجثة بعد الموت وليس قبله .

- غريب فكان يكفي الخنق لقتل الرجل مدام كان مخدرًا ولن يقاوم ، ولا حاجة لتعليق الرجل وشنقه بالغرفة يا حسام بك ، هناك شيء غير مفهوم .

- أتفق معك يا أيمن هناك شيء غير مفهوم حقًا ، فكان يكفي خنق الرجل بالحبل وكان سينتهي الأمر سريعًا ، فلماذا يتعب القاتل نفسه ويجهز الحبل ليشنق الرجل وبعدها يقوم بطعنه وكأنه يلعب ويتسلى بالأمر.

- ربما كان مريضًا نفسيًا أو مختل فلا دافع للقتل سوى الانتقام من المدرس.

- وهل كان له أعداء و خلافات مع أحد من تحرياتك الأولية؟

- لا ليس للرجل أي خلافات أو نزاعات مع أحد بل كان حسن السير السلوك ملتزم جدا مع الجميع ومتحفظ لا يحب المشاكل ولا الخلافات .

- وماذا عن زميلته رضا مدرسة اللغة الإنجليزية

- الغريب بأنها الوحيدة التي كان يفتعل معها المشكلات بدون مبرر وسبب مقنع ، فالمعلمة في حالها دومًا ولا تحتك بالرجل ولكن هو من كان يحتك بها ويبدأ بمضايقتها ويضايقها في الحقيقة والجميع شهد بذلك يا حسام بك .

- غريب رجل مثالي مثل محسن لا يُحب المشاكل فلماذا يفعل ذلك ، فهل كان يحبها ورفضته يومًا ؟

- لا أعتقد فالرجل كانت علاقته جيدة مع زوجته منذ سنوات ويحب عائلته وأسرته ولكن اتهامه لها بأنها تأخذ تلاميذه ، صمت أيمن قليلاً وهو يفكر فيما يقول ، فالكلام يبدو غير منطقي بالمرة ، فمنذ متى يفعل المدرس ذلك مع زميله من أجل الدروس الخصوصية هناك شيء آخر مخفيًا..

قطع حبل أفكاره صوت رئيس المباحث وهو يردد:

- وماذا عن السيدة التي كانت ترتدي النقاب و دخلت وخرجت من العمارة ولم يتعرف عليها أحد من سكان العمارة ، فهل تتبعتم الكاميرات بالشارع وتتبعتم خط سيرها للنهاية

- الغريب بأنهم يعرفون جيدًا ماذ يفعلون يا حسام بك ، لقد ركبت

توكتوك ونزلت في منطقة شعبية ليس بها أي كاميرات للمراقبة ، واختفت وسط الزحام ومع تغطية وجهها لم يتعرف عليها أحد .

أخذ يشعل سيجارة من التبغ وهو ينظر لمساعدة مفكرًا ، أخذ نفسًا عميقًا وبعده أخرجه في الهواء ليملأ فراغ الغرفة بالدخان الأبيض وهو يفكر في الأمر ؟

حاول أيمن أن يتحدث ولكن إشاره من يد حسام أوقفته لقد كان يفكر في الجريمتين يشعر بأن هناك رابط بينها ، ولكن لا يعرف ما هو الرابط ، هل هي نفس المدرسة التي يعملان بها ؟

أم تدريس نفس المادة ؟

أم خلافهما مع رضا ؟

لا يدري ولكن الفضول يدفعه ليفكر أكثر بالأمر ؟

كان متأكدًا بأن المعلمة لن تستطيع قتل أي من الرجلين وشنقها في منتصف الغرفة ، ربما استأجرت أحدهم لقتلهما ؟

ولكن لماذا تفعل ذلك من أجل الانتقام منهما ؟

فلم لم تنتقم من طليقها إن كانت امرأة سوداوية هكذا ؟

وهنا تذكر طليقها كريم

ولم لا يكون هو ويريد أن يزج بها إلى حبل المشنقة ، فالرجل يكرهها كالموت ، ويريد أذيتها ؟

وقف مرة وحد وهو يسأل أيمن بحماس :

- أين طليق المعلمة ؟

- تقصد ميس رضا ؟

- نعم اين هو الآن؟

- لقد أخلت النيابة سبيله فلم تتقدم طليقته بأي شكوى في حقه يا حسام بك وأنت تعرف الاجراءات .

- أريد تحريات مشددة ودقيقة عن الرجل ؟

- هل تشك في شيء ؟

- كل شيء يدعو للشك ، هناك من يريد أن يلقي الاتهام ويلف حبل المشنقة حول رقبة المعلمة ، وليس هناك من يكرهها أكثر من طليقها حتى الآن .

هز أيمن رأسه :

- لا أدري ولكن لا أوافقك الرأي تلك المرة يا حسام بك ، إن كان الرجل يريد أذية طليقته فلم لم يقم بذلك مباشرة ، فما الدافع لفعل ذلك وعمل كل ذلك ، فهو رجل مندفع ومتهور ولا أعتقد بأنه يفعل كل ذلك من أجل الانتقام ..

- ربما ليعذبها وينغص حياتها يا أيمن فهذا أكثر قسوةً وأشد عذابًا من القتل المباشر

- ولماذا يمثل بالجثث بعد قتلها ويعذب نفسه ويعلقها ويشوهها، أعتقد القاتل يريد إخبارنا بأنه رجل وليس للمعلمة دور في القضية هذا ما أشعر به ولا أدري لماذا يريد تبرئتها من التهم ؟

- لا أدري كل شيء سيظهر في المستقبل ولابد من أن يرتكب المجرم خطأً صغيرًا ، ووقتها لن نرحمه وضرب المكتب أمامه بقبضة يديه ، وبعدها أكمل مُردِدًا :

- أريد معلومات عن الرجل وتكون أمامي صباحًا ، كل شيء عن الرجل وكل ما يمكنك جمعه هل تفهم يا أيمن كل شيء حتى لو كان صغيرًا وتافهًا أريد معرفته عن كريم .

- تمام يا حسام بك غدًا سيكون أمامك على المكتب ملف كامل عن الرجل ، نظر له طويلاً وبعدها رحل إلى منزله ليرتاح قليلاً .

***

كانت تحاول الركض كالمجنونة في الشوارع ، لا تجد سيارة أجرة لتوصلها للمنزل ومازال هاتف ابنها مغلقًا لا تدري ما الذي حدث ؟

كادت سيارة تدهسها وهى تحاول الاتصال وتركض في الشوارع ، سمعت صوت سائق الشاحنة وهو يشتمها ويلعنها بأبشع الألفاظ والكلمات ، ولكنها لم تلتفت إليه بل أكملت طريقها ، حتى وجدت من ينادى عليها ، كان الصوت تعرفه وكان صوت غانم ، لقد رآها تركض كالمجنونة فشعر بالقلق عليها ، فأخذ ينادى عليا ويترجاها أن تتوقف :

- رضا انتظري رجاءً

التفتت له وشعرت بالارتياح الشديد عند رؤيته ، ألقت بنفسها داخل السيارة وهي تترجاه مُرددة:

- ابنى يا غانم لا أعرف ما الذي حدث له فهو لا يرد عليا

- وهل أنهيت التحقيق في قسم الشرطة ؟

- وكيف عرفت بالأمر؟

- لقد أخبرني عمر يا رضا اتصل بي وطلب مني أن أكون معك ، وقال لي بأن هاتفه سيفصل شحن ولقد طلب منك شاحن أمس ولكنك نسيت إحضار واحد جديد .

وهنا ضربت رأسها بقوة وهي تردد:

- لقد نسيت حقًا وكل ما حدث لا يصدق ، لا أدري ما الذي يحدث وبعدها أجهشت بالبكاء الشديد ، وأخذ ينظر إليها فمازل القلب مغرمًا ولا يرى إلا هي من دون النساء ، ولكنها غامضة وحولها العديد من علامات الاستفهام فهل حقًا تلك الملاك البريء يمكنه أن يقتل ؟

سمع صوتها وهي تردد :

- هل تصدق يا غانم بأن يقتل مستر محسن والأغرب يتهموني بقتله ؟

- وهل عرفوا القاتل ؟

- لا أدري لقد أخذوا أقوالي ورحلت سريعًا فليس لي دخل بالأمر يا غانم

- ربما لمشاكله معك الدائمة

- لا أدري ولكنني كرهت تلك الحياة الجائرة التي لا تنصف مظلومًا ، نظر لها طويلاً ولم يرد بل هز رأسه ونظر للطريق أمامه ، وأغمضت هي عينيها تتمنى الوصول سريعًا إلى منزلها وابنها ، سمعت صوته

وهو يردد:

- لقد وصلنا يا رضا ، أتسمحين لي بالصعود للاطمئنان على عمر

هزت رأسها بنعم ولم ترد فهي تعرف بأن وجوده في تلك اللحظات مع الصبي سيخفف عنه ويرفع من معنوياته المحطمة لما حدث من والده ومن رجال الشرطة اليوم ، فمازال ابنها يحب الرجل ويتمنى أن يكون والده ، صعدا الدرج وقابلت حارس البناية الذي أخذ يزفر بغضب عند رؤيتها ويستغفر الله ، ويردد كلمات كثيرة غير مفهومة من الشتائم والسباب ، وألقي بدلو الماء الذي يحمله أمامه بغيظ وأغرقت المياه ثيابهما وهنا صرخت بغضب :

- هل جننت يا حسان ألا ترانا نمر يا رجل

زفر بغضب مُردِدًا :

- لم أر أحدًا لقد أخذتك الشرطة منذ قليل لم أعرف بأنهم تركوك يا أستاذة سريعًا ، شعرت بالغيظ من تصرفات الرجل الغريبة لها ومن كلماته التي كلها لؤم وخبث وتلميح فقالت بغيظ :

- سيأخذوني المرة القادمة في جريمة قتل حقيقية عندما أقتلع لسان من يتحدث عني بسوء ويطيل لسانه علي يا حسان لا تقلق ، شعر الرجل بالخوف من كلماتها فهل تهدده وهنا دخل كارم من باب العمارة وكان يحمل الطعام و يبدو الضيق على وجهه وهو ينظر لهما ، فقالت بتوتر:

- كارم هل عمر بخير

- لا تقلقي يا ميس إنه بخير لقد خرجت لشراء الطعام

شكرته كثيرًا وطلبت منه الرحيل لأن الوقت تأخر ووالده سيقلق عليه ، فردد:

- لا تقلقي فأبي في شرم الشيخ يقضي شهر العسل مع زوجته الجديدة ولن يشعر بشيء ، طلبت منه أن يرحل لأن الوقت متأخر ، فوافق ولكنه سيصعد أخذ أغراضه من شقتها أولاً، صعدوا إلى المنزل أمام نظرات حارس العقار المرعوبة والتي تشعر بالخوف من المرأة ، فخرجت زوجته من الغرفة مُرددة:

- ماذا حدث يا حسان لماذا ترتجف كالأطفال يا رجل

- لقد هددتني يا خميسة بالقتل ، فشهقت بفزع :

- من هي يا رجل هل فقدت عقلك

- ومن غيرها السفاحة التي تأتي الشرطة كل يوم لاصطحابها لقسم الشرطة ، التي شوهت سمعة العمارة .

- هل تقصد الأستاذة رضا يا رجل ؟

- نعم هي وهل هناك سفاحون بالعمارة رد سجون غيرها .

- اتق الله يا حسان فهي سيدة في حالها وتربي ابنها القعيد وتراضيني دومًا وأفضل سكان العمارة ، ولكنها مظلومة وحظها قليل بالحياة ولم تكمل كلامها .. ولكنهم سمعوا الأصوات العالية والصراخ من الأعلى ، فصعدا يركضان ليريا ما الذي حدث ؟

وفي نفس الطابق الذي تعيش فيه رضا كانت تقف وتصرخ بغضب في وجه جارها» شاكر» الذي كان يتهمها بالباطل في سمعتها وكانت

غاضبة بشدة وترد عليه بأنه غير مهذب وغير محترم وستتصل بالشرطة إن تطاول عليها ، ولكنه أخبرها بأن الشرطة ستأخذها هي مثل كل مرة تأتي فيها للمنزل ، تدخلت زوجة حارس العمارة وحاولت فض المشكلة فهي تعرف الساكن « شاكر « رجل غير محترم وزير نساء ويفعل ما يفعل لأن رضا صدته كثيرًا ، فكم من مره شاهدته وهو يحاول مضايقتها وكانت المعلمة تصده وتعامله بقسوة .

ولكنها لم تستطع فعل شيء وتعلية صوتها خوفًا من الفضائح والقيل والقال من الجيران وهي امرأة مطلقة تعيش وحدها بالشقة مع ابنها المريض ، فكانت تحاول الابتعاد وتجنب الرجل ، وكانت خميسة المرأة الريفية تعرف ما يحدث وتعرف بسلوك الرجل السيء ، فقد حاول معها هي الأخرى أكثر من مره ولم تخبر زوجها حتى لا ينقطع عملهم بالعمارة ولكنها كانت تشتكي إلى رضا التي كانت تستمع لها وتهون عليها بلائها ، وتخبرها أن تبتعد عنه ولا تتعامل إلا مع زوجته في أي شيء ، فكانت تكره الرجل وبشدة فكم مرة حاول لمس جسدها مستغلاً حاجتهم للعمل وكم مرة دخل غرفتها في غياب زوجها محاولاً التعدى عليها ، مستغلاً انشغال زوجته وبياتها في عملها والمستشفى التي تعمل بها شفت مسائي كممرضة ، وكان لا يعمل وتصرف عليه الزوجة المنهكة ليل ونهار هاربه من وجهه ، تدخلت بشجاعة مُرددة:

- لا تتحدث هكذا مع أستاذة رضا فمنذ وفاة والدتها وهي تسكن في شقتها بكل احترام ولم يسمع لها أحد صوت بالعمارة يا أستاذ شاكر، فتوقف رجاء

- صرخ في وجهها مُردِدًا :

- وما دخلك أنتِ يا بومة هل تريدين العودة إلى بلدك، وهنا صرخ زوجها فيها وهو يجذبها من ثيابها مُردِدًا :

- ليس لنا دخل بالأمر يا خميسه هيا بنا فليقتلوا بعض فلن نتدخل ، سحب زوجته ونزل إلى غرفته ، وصرخت رضا بغضب :

- كلمة أخرى يا أستاذ شاكر وأقسم بالله بأنك ستندم على ما قولت طوال حياتك ، نظر لها بغضب وبصق على الأرض وبعدها أغلق الباب في وجوههم ، كان عمر منهار يبكي بقهر على ما سمعه عن أمه ، ووقف كارم ملتصق بالجدار وهو مرعوب جسده يرتعد خوفًا مما يرى من الصراخ والصوت العالي ، وحاول غانم أن يتحدث ولكنه لم يستطع سوى التربيت على رأس الصبي ليحاول طمأنته وبعدها رحل مسرعًا ، أخذت رضا نفسًا عميقًا وجرت الكرسي المتحرك لداخل الشقة وأغلقت الباب بعنف في وجه كارم الذي كان مازال يرتجف مما يرى وما حدث أمامه فلماذا هذا العالم قاسي ، ولكنه جر رجليه ورحل خلف الأستاذ غانم محاولاً الهروب من تلك الأصوات العالية وما حدث أمامه ، فقد اتهم الرجل معلمته في شرفها وسمعتها ، معلمته التي يعتبرها كأمه وعوضته حنان الأم والفقد والحرمان ، لا يفهم فالمعلمة لم تفعل شيء بل كانت تعامله بطيبة وحب كابنها عمر ، كان يشعر بالدوار تذكر أمه وكيف كانت لا تفارقة لسنوات عديدة ، ولكنها في النهاية فارقته وابتعدت عنه ، فهل ستبتعد عنه معلمته هي الأخرى ولكن لماذا ؟

فلماذا يبتعد عنه كل من يحبه بالحياة ؟.

***

أخذت رضا تحتضن ابنها وتبكي بقهر شديد وشعور بالظلم يقتلها داخليًا ويجعلها غير قادرة على التنفس وهي تردد :

- سنرحل من هنا يا عمر لا تبك يا صغيري سنرحل ونعيش بعيدًا

- رد من بين دموعه :

- وأين سنذهب يا أمي؟

- سنستأجر شقة مفروشة بضعة أيام ، فلم أعد أتحمل كل ما يحدث هنا يا ولدي من ظلم وطغيان للبشر، أخرجت هاتفها واتصلت بأحد الأرقام ورددت :

- عم راضي أريد شقة مفروشة إيجار لا أريد شيء كبير غرفة وصالة تكفيني أنا وابني ، أغلقت الهاتف وهي تؤكد على الرجل بالسرعة فهي تريد الرحيل من الشقة في أقرب فرصة ، لقد كان الرجل صديق والدها الذي كان يعمل سمسارًا للعقارات ،ولن يتأخر عليها الرجل فهي بمحابة ابنته ، ستذهب إلى شقة ولن يعرف عنها أحد وستبتعد عن كل تلك المشاكل والجيران وتعيش بهدوء ، ربتت على كتف ابنها وهي تردد :

- لا تقلق سيكون كل شيء بخير يا بني .

- هز الصبي رأسه ولم يرد فهو لا يشعر بالأمان مطلقًا بل يشعر بخوف كبير من المجهول ، فماذا إن فقد أمه ماذا سيفعل هل سيأخذه والده ، أم سيتركه بالشارع وربما وضعه في دار للأيتام فهو

لا يحبه ويكرهه ، فماذا سيفعل ؟

- ردد بصوت واهن :

- ماذا سيحدث إن حدث لكِ مكروه يا أمي ، هل سيرمينى أبي بالشارع ،؟

شعرت بغصة في حلقها شديدة ، لقد فكرت بالأمر ولكنها كانت تبعد الفكرة عن عقلها ، ولكن الآن ماذا ستفعل حقًا ؟

اقتربت من الصبي مرددة :

- لا تقل ذلك فلن يحدث شيء سيىء إن شاء الله

- ردد بعناد:

- وماذا إن حدث ما مصيري ؟

- نظرت له طويلاً ولم ترد ، فليس لها أحد بالكون غير أخيها وهو مسافر يعمل في إحدى دول الخليج ، ليس لها أي قريب تلجأ له ولا صديق تستشيره ، فهي وحيدة بمعنى الكلمة ليس لها ظهر ولا سند ، تساقطت الدموع من عينيها كشلال منهمر ، وربتت على رأس الصبي ودخلت غرفتها وهنا رد هاتفها الجوال ، وكان المتصل هى « حماتها « أم كريم لقد كانت المرأة تحبها وتحب حفيدها بصدق ، وكانت تتصل بهم من وقت لآخر للاطمئنان عليهما دون علم ابنها كريم ، فتحت الهاتف وسمعت صوتها الحنون يردد:

- كيف حالك يا رضا وحال عمر لماذا لم تتصلا بي هذا الأسبوع ونحدد ميعادًا لنتقابل يا ابنتي

- بخير الحمد لله ، وبعدها أجهشت بالبكاء ، شعرت المرأة العجوز بالفزع من صوت زوجة ابنها فقالت :

- ماذا بك يا ابنتي هل عمر بخير ؟

- بخير لا تقلقين يا أمي فنحن بخير ولكن مشاكل عديدة أمر بها ولم أعد أتحمل ، وبالرغم من كراهيتها لابن المرأة ولكن السيدة كانت طيبة القلب وحنونة وتحبها بصدق وتعاملها كابنتها ، فهى تعرف ابنها ونرجسيته وطباعه السيئة وتدليل والده له وفساد أخلاقه منذ كان صغيرًا ، والتفرقة بينه وبين أخته الوحيدة حتى ألقت بنفسها من الشرفة وماتت وهي مازالت طفلة بسبب سوء معاملة كريم والأب لها ، ولقد كانت تعيش لأنها مجبرة على العيش مع زوجها فأين ستذهب ؟

وعندما تزوج من رضا كانت تحبها وتعاملها كابنتها التي حرمت منها وحتى زوجة ابنها أحبتها هي الأخرى وعاملتها كأمها ، وكانت دومًا تقف معها وتنصفها ولكن ابنها كان قاسي القلب متحجر المشاعر لا يستمع سوى لنفسه وغروره والأنا العالي لديه مثله كمثل والده وكأنه صورة طبق الأصل ، بعد موت زوجها لم يعد كريم يهتم بها أو يسأل عليها وكانت رغم انفصال رضا عن ابنها تحبها وتحب حفيدها وتزورهم ، حكت رضا كل شيء إلى حماتها وهي تبكى بقهر شديد وشعور بالظلم ، أخبرتها بأنها تخاف أن يحدث لها شيء وتترك عمر وحيدًا يعاني بالحياة فمن سيهتم بأمره وقتها ؟

وهنا طلبت منها المرأة أن تأتي لتعيش معها هي وعمر ، فلم يعد كريم يدخل منزلها ولم يعد يسأل عنها وتحتاج إلى من يؤنس

وحدتها ، شعرت رضا بالارتياح الشديد من عرض المرأة وطلبها ، وقررت الذهاب للعيش مع جدة ابنها لتكون مرتاحة وتشعر بالراحة عند ذهابها للعمل .

لم تنتظر الصباح بل جمعت أغراضها وأغراض ابنها سريعًا واستدعت سيارة أجرة ورحلت للعيش في مكان آمن بعيدًا عن كل الأذي الذي شاهدته وعن شر البشر .

***

عادت زوجة شاكر من المنزل وكانت منهكة لا تستطيع السير على أقدامها فهي تعمل ممرضة في أحد المستشفيات في الشفت الليلي ، لتتخلص من زوجها ، قابلتها زوجة حارس البناية ، وأخبرتها بكل شيء كانت الزوجة تعرف زوجها جيدًا وسئمت من تصرفاته وفضائحة التي لا تنتهي ، فلا يكتفي بأنه ترك الشركة التي كان يعمل بها ليجلس بالمنزل عاطلًا بلا عمل وتنفق هي عليه وعلى مزاجة وما يريده ، لم يكتف بذلك بل يعاكس ويضايق الجيران أيضًا ويسبب لهم المشاكل، زفرت بضيق وهي تعتذر للمرأة وتردد:

- أنت ترين يا خميسة أعود في وقت متأخر وأحيانًا فجرًا لظروف عملي ، فماذا سيقول عني الناس إن كنت أعيش بمفردي مطلقة وبلا رجل ، فوجوده يحميني من كلام الناس والقيل والقال ، ولولا ذلك لطلبت الطلاق منه وارتحت من كل ما أنا فيه ولكن مجتمعنا لا يرحم ولا يترك الناس في حالها مع الأسف الشديد ، يجعلنا نرضخ لأوضاع لا تناسبنا ولا تتفق معنا لمجرد الخوف من كلام الناس الذي لا يرحم ولا يترك أحدًا ، فكما ترين أين نعيش ومع من نتعامل بالحياة ؟ .

هزت المرأة الريفية رأسها وهى تصدق على كلامها فهي تعرف ما تقوله السيدة جيدًا وتؤمن به، وترى بأنها على حق وما تفعله هو الصواب بعينه.

صعدت الدرج وهي تشعر بغيظ شديد ، تريد التحرر من ذلك البغيض ولكن كيف ؟

فتحت باب الشقة وكان الرجل نائمًا على بطنه وبيده زجاجة من البيرة لا يرتدى سوى شورت قصير يستر به عورته ، لكزته بعنف بيديها وهي تردد:

- لا أدري متى سيخلصني الله من ذلك البلاء ؟

أخذت تهزه بشدة حتى فتح عيونه وفركها بقوة هو يسب ويلعن ، فلا توقظه زوجته بتلك الطريقة ، صرخت في وجهه بصوت عالٍ:

- إلى متى يا شاكر ستظل سكيرًا وغائبًا عن العالم ومُغيبًا عما يحدث من حولك ؟

رد بسخرية وهو يفتش في الأكياس التي تحملها باحثًا عن الطعام ، أخرج تفاحة وقضمها دون غسلها وهو يردد:

- ولماذا أستيقظ يا زوجتي مادمتِ أنتِ متيقظة وتنامين خارج منزلك ولا أدري أين كنتِ ومع من ؟

شعرت بالغيظ والغضب فصرخت في وجهه:

- أنت تعرف أين أنا في عملي بالمستشفى ، عملي الذي تأكل منه وتشرب وتنفق على مزاجك ، وفي النهاية لا أسلم من شرك ولا من

لسانك ولم يسلم منك الجيران ، لم يرد عليها بل أخرج تفاحة أخرى وأخذ يأكل وهو يهرش في شعره المنكوش ، فصاحت بغضب :

- فلما لا تدع الناس تعيش وتتركهم في حالهم وما دخلك أنت بجارتنا ميس رضا ، فلم تضايقها ؟

رد بسرعة :

- لأنها شبهه للعمارة وجلبت لنا الفضائح والعار ، فكل يوم رجال شرطة ورجال معها يدخلون ويخرجون ، لقد شوهت سمعة العمارة

- زفرت بغيظ:

- ميس رضا معلمة الأجيال السيدة المحترمة التي تراعي ابنها المريض شوهت سمعه العمارة ، وأنت بسكرك والسيدات الساقطات اللاتي تحضرهن من الشارع في غيابي ، هل تدري بأنني لا أعرف بكل ما تفعل في غيابي يا شاكر

نظر لها بلامبالاة ولم يرد ، بل دخل إلى دورة المياة وتركها تقف مكانها تصرخ من الغيظ والغضب ، ولا تدري ما الذي فعلته في نفسها ولم توافق على تلك الحياة وترضخ لها ، فليذهب الناس والعالم كله إلى الجحيم ، لقد فاض الكيل ولم تعد تتحمل كل هذا ، فللصبر حدود ولقد صبرت وفاض الكيل .

***

في مدرسة الشهيد حفناوي الثانوية بنين

كانت رضا يبدو عليها الإرهاق والتعب يومان أجازة قضتهما عند

حماتها في جو مريح للأعصاب والنفس قريب من الريف وترى الأراضي الزراعية حاولت نسيان ما مرت به ، ولكن مازال جسدها منهكًا ويئن من كثرة الضغوطات النفسية ، دخلت من باب المدرسة الجميع كان يتحاشها ويبتعد عنها كأنها مرض معدٍ ، كانت العيون تتهمها بقتل زميلها الأستاذ محسن ، لم يجرؤ أحد على قول الجملة ونطقها بلسانه ولكن العيون كانت تفضحهم ، ذهبت لحصتها بعد الطابور المدرسى ، دخل الساعى وأخبرها بجفاء بأن مدير المدرسة يطلبها بالمكتب بعد الحصة ، ذهبت للرجل وفوجئت بأن المدير قام بتقديم طلب لنقلها خارج المدرسة ، فلم يعد يتحملها بالرغم بأنها لم تفعل شيء ولكن الكلام الكثير حولها جلعها منبوذة ، وبعد مشاجرة طويلة خرجت من مكتبه والدموع تتساقط من عينيها ، فهي لا تدري لم عالمها ينبذها بتلك الطريقة البشعة ويكرهها ،كانت في إجازة من المدرسة لمدة أسبوع وبعدها تستلم عملها في المدرسة الأخرى ، قابلت «كارم « وكان يقف مع بعض من زملائه حاول الفتى الاقتراب منها عند رؤيتها بتلك الحالة كما حاول زملاؤه الذين يحبون المعلمة ولا يصدقون ما يقال عنها من شائعات وكلام كثير ولكنها منعتهم بيديها فتوقفوا جميعًا ولم يحاول أحد الاقتراب منها ، ورحلت مسرعة ولم تكمل يومها الدراسي ، سمع أحاديث المعلمون وزملائه حول نقلها لمدرسة أخرى ، لا يدرى هو الآخر لماذا ؟

فهي معلمة طيبة جدًا وتعوضه حنان الأم التي رحلت ، فماذا فعلت ليبعدوها عن المدرسة كان لا يفهم ؟

***

-٩-

دخل حسان ليستريح قليلاً في غرفته وطلب من زوجته عدم إزعاجة فهو يشعر بالصداع ، أخبرته الزوجة قبل نومه بأن هناك رائحة عفونه تخرج من شقة الأستاذ شاكر ، ولم تعد ترى زوجته منذ أربعة أيام فيبدو أنها تركت المنزل للرجل ، وحتى هو لم تعد تراه كما كان دومًا بغيابة الداخلية يضايق فتيات الجيران بنظراته التي تأكلهم بل خجل ولا حياء ، فقالت بتوتر:

- هناك رائحة كريهة تخرج من شقة الأستاذ شاكر وزوجته مختفية منذ عدة أيام ، والجيران يشتكون ..

- ألم تعد المدرسة هى وابنها منذ أن رحلت منذ أيام؟

- لم أرها ولم أر زوجة الرجل أيضًا والطابق مظلم كالقبور ، ويشتكى الجيران من شيء يطاردهم وهم يصعدون الدرج ومن يضربهم على وجوههم ، فحتى هواتفهم ترفض الإضاءة فى الطابق ، فبعد رحيل ميس رضا أصبح الطابق مظلمًا فكانت دومًا تترك مصباحًا مضاءً أمام باب شقتها حتى لا يتعثر أحد ليلاً ،

صمت الزوج وهو يفكر ثم ردد:

- اتصلي بزوجته يا خميسة لنعرف ماذا حدث ؟

- هاتفها مغلق دومًا ولا أستطيع الوصول إليها .

- انتظري حتى أستيقظ من النوم سوف أذهب لأخو الأستاذ شاكر وأخبره ولكنني أشعر بالصداع دعينى أنام ساعة ولا تزعجينى أنت

والأولاد

- سأذهب لشراء بعض الأغراض لمدام كوثر في الخامس والأولاد يلعبون أمام العمارة ، ربما تأخرت فسوف أذهب لابنتها لأعطي لها ما أشتريت ،

- اذهبي وتأخري كما تشائين ولكن دعيني أستريح الآن

ذهبت وهي تنظر لزوجها الذي ألقى بجسده سريعًا على الفراش وأغمض عينيه ليغط في سبات عميق لقد كان يشعر بالصدع والإرهاق الشديد ، نظرت له طويلاً فلم تره يومًا مريضًا أو يشتكي من شيء منذ أن تزوجته منذ عشر سنوات .

أغلقت باب الغرفة خلفها ، ولم تنس أن تنبه على الصغار قبل أن ترحل بألا يدخلوا أو يفتحوا الغرفة على والدهم مهما حدث حتى لا يعاقبهم الأب بالضرب بالعصا .

***

كان رجال الشرطة يفحصون كل المنزل المكون من طابقين ، والنساء تولول وتصرخ بلا توقف ، ورجال البحث الجنائي في كل مكان يرفعون البصمات ويجمعون الأدلة من كل شبر حول المنزل ، لقد كان الكلب الذي يحرس المنزل مسمومًا وملقى في حديقة المنزل المكون من طابقين وحوله حديقة صغيرة لا تتجاوز الثلاثة أمتار مليئة بالزهور الملونة مختلفة الألوان وشجرتان ليمون وممر من البلاط الملون إلى مدخل المنزل ، كان المنزل على مساحة ثمانين مترًا وحوله سور طويل ببوابة حديدة ، ومنزل الكلب الخشبي بجوار

البوابة ، فيبدو المنزل بلا حرسة وكان الكلب هو حارس المكان ، وقف حسام يفكر وهو يستمع لأقوال الشهود وأيمن يسألهم ، فتبدو نفس طريقة القتل المستخدمة في المرات السابقة وكأن القاتل واحد ، شنق الضحيه وتعليقة من رقبته وبعدها طعنه بالسلاح الأبيض عدة طعنات في أماكن متفرقة من جسده ، ولكن تلك المرة كان القاتل قاسيًا مع الضحية وكانت عدد الطعنات كثيرة في مناطق متفرقة من جسد القتيل لدرجة جعلت جسده كالمصفاة خرجت الأحشاء من كل ثقب فيها بطريقة مقززة جعلت الجميع يفرغون ما بطونهم من هول المنظر ، فماذا فعل الرجل في حياته لتكن تلك النهاية نهايته ؟

استمع حسام دون أن يتكلم إلى الشهود الذين يتحدثون ويتغنون بأخلاق الرجل ، وكأنه ملاك هبط من السماء ، وإن كان كما يقولون فمن الذي فعل به ما فعل ولم يكتف بإنهاء حياته بل قام بالتمثيل بجسده ببشاعة ، فماذا فعل الرجل يا ترى ؟

أنهي خامس سيجارة من التبغ وهو يشعر بالضيق الغريب فالمكان مليء بالطاقة السلبية المحملة بالرائحة الكريهة، بدأت الجثة في التحلل ، فثلاثة ليال كانت كافية لظهور رائحة جثة الرجل ، والغريب لم يشعر بموت الرجل أحد من أهله إلا في المدرسة التي يعمل بها ، وعدم ذهابه للعمل يومان متتاليان جعل زملائه يشكون في الأمر، ويرسلون الساعى إلى منزلة للسؤال عنه فقد كانت هواتفه ترن بلا توقف ولا إجابة ، الرجل يعيش بمفرده بعد موت زوجته ، ورحيل ابنه الوحيد للعيش بالقاهرة مع زوجته وأطفاله بعد أن تم نقله لمقر فرع الشركة الجديدة في مدينة السادس من أكتوبر ، فترك منزله

وأخذ زوجته وأولاده ، وكان يأتي كل شهر لقضاء ثلاثة أيام مع والده وفي شقته التي تركها كما هي ، وكانت أخته تأتي لترتب له المنزل وتعد له طعام الأسبوع وتضعه بالثلاجة ، كان رجلًا مسالمًا ليس لديه أعداء ، ردد حسام بضيق وهو يزفر دخان سيجارته :

- كان يعمل في نفس المدرسة يا أيمن أليس كذلك

هز رأسه مُردِدًا :

- كان مدير المدرسة نفسها يا حسام بك .

- فأستاذ راجي كان مدير المدرسة الثانوية المشؤمة ، يبدو أن الموضوع كبير ولكن ما الرابط بين الثلاثة جثث ، وشرد قليلاً وهو يفكر في وجه « رضا «مدرسة اللغة الإنجليزية التى كانت على خلاف مع الضحيتين السابقتين فهل سيكون هناك خلاف هنا أيضًا وهي آخر من تحدث معها الرجل وهددته بالقتل ، قطع حبل أفكاره صوت أحد الشهود وهو يردد:

- لقد انقطع الإتصال بالمدير ، فأرسلني وكيل المدرسة للاطمئنان عليه، فقد كان خائفًا على الرجل من بعد حادث مستر محسن رحمه الله ، فمن يومها ونحن جميعًا خائفون إن تأخر أحدنا دون عذر ولم يتصل نشعر بالقلق الشديد ، وعندما حضرت للمنزل ووجدت الباب مفتوح البوابة والكلب مسموم ، شعرت بأن هناك شيء سيء ، فطلبت من الجيران المساعدة ، ولكنهم خافوا التدخل لأن المدير كان عصبيًا لا يحب أن يتدخل أحد في حياته ، وكان دائم الشجار مع الأطفال التي كنت تحاول معاكسة الكلب الروت وايلر الشرس ، الذي كان يحمى المكان من المتطفلين والغرباء ، ولكن الأطفال بالحي

كانت تلقي عليه الحجارة من خلف السور ، فاضطررت للاتصال بابنه الذي أتى من القاهرة سريعًا ولم يمض سوى ثلاث ساعات حتى فتح المنزل واكتشف جثة المدير ، وهنا ابتسم حسام ساخرًا وهو يردد :

- رفض الجيران الدخول لمعرفة ما الذي حدث للرجل وتقولون رجل طيب وليس له أعداء ، زفر بضيق هكذا نحن دومًا عندما يموت أحد نجعل منه ملاكًا حتى لو كان شيطان رجيم لم يكن يطيقه أحد ولا حتى الأرض التي يسير عليها .

كانت أقوال اجيران واحدة فلم ير أحدهم شيئًا غريبًا حول منزل الرجل ، لأنه لا يحب الاختلاط بأحد ، ولم يضف ابنه المنهار والذي لا يصدق من الذي فعل ذلك بوالده وقام بقتله بتلك الطريقة البشعة والتمثيل بجثته ، فيبدو أنه كان يكره والده بشده ، فلم يسرق أي من محتويات المنزل ولا محفظة الرجل والمبلغ الكبير الذي كان يحتفظ به في غرفة نومه .

أظهرت التحقيقات الأولية بأن القاتل قام بقتل الكلب أولاً ، بعد أن ألقى له الطعام المسموم وبعدها دخل دون أن يشعر الرجل الذي اعتاد فتح باب منزله فالكلب يشعره بالأمان الشديد ، ولقد استغل القاتل ذلك وكأنه كان يعرف ما اعتاد عليه الرجل .

زفر حسام بضيق :

- ليس هناك جديد ، ماذا عن كاميرات المراقبة هل قمتم بتفريغ الكاميرات الموجودة في الشارع .

رد أيمن بضيق :

- للأسف أقرب كاميرا تظهر بوابة المنزل لم تلتقط سوى سيدة ترتدي الأسود وتغطي وجهها أيضًا بقطعة سوداء وكانت تقترب من بوابة المنزل من بعيد يا حسام بك

- نفس السيدة مرة أخرى تظهر بالقرب من مكان الجريمة أعتقد بأنها هي يا أيمن ، أين عامل المدرسة هل رحل ؟

- تقصد هو يا حسام بك ، فلا أعتقد بأن سيدة تستطيع فعل كل ذلك مع تلك الضحية بالذات وخصوصًا مع وزنه الزائد ، أعتقد هو رجل ويرتدى الثياب السوداء ويضع النقاب على وجهه حتى لا يتعرف عليه أحد للأسف سخرية من كل العادات والأعراف ، لم يرحل أحد بعد ؟

- وربما هي سيدة ولديها من يعاونها يا أيمن فلا أحد يستطيع فعل هذا بالرجل بمفرده ، إلا لوكان يمتلك قوى خارقة للطبيعة .

لم يرد أيمن بل كان ينظر لوجوه الجيران الذين يقفون من بعيد ، وكانت أكثر من سيدة ترتدي الثياب السوداء وتغطى وجهها بالنقاب ، فهل كان مرور المرأة التى تقترب من البوابة كان بالصدفة ، أم هي القاتلة ؟

فلم يكن هناك سوى تلك الكاميرا بالحارة ، وهنا قطع حبل أفكاره صوت رئيس المباحث وهو يردد بصوت عالٍ آمرًا الجندي :

- احضر لي عامل المدرسة ، دخل العامل العجوز وأقدامه ترتعد من هول ما رأى يكره ويلعن وكيل المدرسة الذي أجبره على الذهاب لمنزل الرجل للاطمئنان عليه ، كانت يد الرجل ترتعد خوفًا فلم يكن

يعلم بأن رجال الشرطة سيفعلون به كل ذلك وكأنه هو من قتل الرجل ومثل بجثته وقف مرتجف الأرجل ينظر بعيون زائغة إلى رئيس المباحث الذي كان ينظر له بتركيز، وينفث دخان سيجارته الكثيف بقوة دون أن يتحدث ، فردد الرجل بصوت مختنق خرج بصعوبة من حلقة الجاف :

- أقسم بالله يا حضرة الضابط لقد أخبرتكم بكل شيء ، وليس لي دخل بالأمر، لقد طلب مني وكيل المدرسة الاطمئنان على المدير بعد حادث أستاذ محسن ، لذلك حضرت إلى منزل الرجل ..قاطعة حسام وهو يقول :

- اجلس يا رجل لا تقلق أعرف بأن ليس لك دخل بالأمر ولكني أسالك عن آخر يوم حضر فيه المدير للمدرسة هل تشاجر مع أحد أو حدث شيء غريب يومها ، وضع الرجل يده على رأسه وهو يفكر ثم قال بشرود:

- لم يحدث شيء سوى مشادة كلامية مع ميس رضا معلمة اللغة الإنجليزية ، ابتسم الرجل بانتصار لقد كان متأكدًا بأنها آخر من تشاجر مع الرجل وردد مشجعًا الرجل على مواصلة الحديث:

- وما سبب المشادة يا ترى ؟

- لقد تكلم المدير رحمه الله مع الموجه الأول وطلب بنقل ميس رضا من المدرسة ، وعندما عادت للمدرسة وعلمت بالأمر حصل مشاداة كلامية وغضبت بشدة ورحلت من غرفة المدير مسرعة وبعدها استأذن هو الآخر و كان يشعر بالصداع ورحل للمنزل ، منذ ثلاثة أيام .

- وهل تعتقد بأن ميس رضا هي السبب فيما حدث للمدير ولمستر محسن ؟

- لا يا سيدى فهي امرأة مسكينة ابنها قعيد وهي المسئولة عنه بعد طلاقها من زوجها ، فلن تفعل ميس رضا ذلك ولن تؤذي أحدًا فأنا من ربيتها وهي صغيرة وكنت صديق لوالدها رحمه الله لسنوات وجيران ، فلا تستمع لكلام الحاقدين على المسكينة بالله عليك .

- يبدو إنك تعرفها جيدًا يا عم فرج ، هز الرجل العجوز رأسه المليء بالشعر الأبيض ورفع يده المليئة بالتجاعيد إلى أعلي وردد:

- إنها شهادة حق يا ولدي سيحاسبني عليها رب العالمين يوم العرض عليه ، فماذا سأقول يومها للواحد القهار عند الحساب ، نظر له حسام طويلاً وهمس لنفسه لو كل إنسان يخشى يوم الحساب ومقابلة الله ويتقي الله في قوله وفعله كما يفعل ذلك الرجل الطيب ، ربما لم يكن هناك من يعتدى على حق الآخر ولا من يغتصب حق ليس ملكه ربما لم يُقتل أحد ولم يكن هناك جريمة ، ابتسم رغمًا عنه لكلمات الرجل الصادقة الذي لا يخشى سوى الله عز وجل في قول الحق ، وردد :

- إذاً آخر من تحدث مع المدير كانت ميس رضا على حد قولك .

- هذا ما رأيته يا سيدى لقد أجبرها رحمة الله على النقل رغم إن ظروفها لا تسمح ولن تستطيع مع وجود ابنها المريض ، فالمدرسة التى تم نقلها إليها في إدارة تعليمية أخرى وبعيدة كما سمعت .

- هل رحل المدير بعدها مباشرة أم انتظر وتحدث مع أحد بعدها

- لا كنت أضع له القهوة في مكتبه ، وشاهدت ما حدث وبعدها دخل وكيل المدرسة على الصوت العالي لميس رضا ، ولكن المدير لم يتحدث بالأمر ورحل مسرعًا ولم يرد على الوكيل .

وهنا دخل جندي إلى الغرفة التي يحققون فيها وردد باحترام كبير :

- هناك شيء يا سيدى لابد من رؤيته الآن فالأمر خطير ، كان الجندي يبدو عليه التوتر والقلق مما يدل على أن هناك شيء خطير ، أشار لأيمن أن يلحقه واتبع الجندي الذي أسرع الخطى خارج المنزل مما يدل على أهمية الحدث .

***

-١٠-

عادت خميسة وقد تأخر الوقت ومر أكثر من ثلاث ساعات على رحيلها فقد تأخرت وهي تشتري الأغراض ، كان مازال باب غرفتهم أسفل الدرج مغلقًا فتعجبت فهل مازل زوجها نائمًا حتى الآن ، قررت ألا تزعجه حتى تذهب للسيدة وتطمئنها بأنها أدت المهمه وتعطي لها ما طلبته منها وتعطيها بعض المال نظير خدماتها التي قامت بها ، فلقد كانت تريد شراء هاتف جديد وتجمع ثمنه من شراء الطلبات للسكان بالعمارة وللعمارات المجاورة ، صعدت الدرج وكانت تشعر بالإرهاق الشديد كنت تستريح كلما صعدت عدة درجات ، مرت على دور ميس رضا والأستاذ شاكر البغيض كان الطابق مظلمًا كالقبور ورائحة كريهة تفوح بالطابق لا يتحملها أحد فالرائحة تزداد كلما مر الوقت وكأن هناك شيئًا متعفنًا بالدور وكانت تفوح بقوة من شقة شاكر ، فهمست ربما ترك الرجل كيس لحم خارج الثلاجة وراح في حالة سكر من حالته ، ولكنه لم يعد يظهر بالطابق وجميع نوافذ الشقة مغلقة ولم يعد يضايق فتيات الجيران ، حتى ميس رضا رحلت هي الأخرى ولم تعد ترد عليها ولا تستطيع الاطمئنان عليها وكانت قلقة على المرأة المسكينة التي أهانها الجيران وافتروا عليها واتهموها في شرفها حتى تركت لهم كل شيء ورحلت ، حاولت الإسراع من الممر الفاصل بين الشقتين وتكملة صعود الدرج ، ولكن شعرت بأن المسافة طويله رغم إنها لا تتجاوز المترين ، دقائق مرت وكأنها دهرًا وزمنًا طويلًا ، كان الظلام دامسًا حاولت إشعال كشاف هاتفها الجوال ولكنها فشلت فقد كان لا يعمل تذكرت كلمات سكان العمارة لقد كانوا يشتكون من نفس الشكوى فهواتفهم لا تعمل في

ذلك لطابق اللعين ، يسمعون الهمسات من حولهم وبعدها يضربهم أحدهم ويركض مبتعدًا ولا يرون من الذي فعلها في تلك العتمه والظلام ، كانت دقات قلبها تتسارع يكاد يتوقف قلبها من شدة الرعب والتوتر ، أخذ جسدها يرتجف انتصبت الشعيرات القليلة في يديها وشعرت بالقشعريرة وارتجفت بشدة فقد انخفضت درجة الحرارة مرة واحدة ، سمعت همسات خلف ظهرها كانت تريد أن تلتفت لترى من الذي يفعل ذلك ولكنها لم تستطع فعلها ، ولم يقو قلبها الضعيف على فعلها ضحكات عاليه وصوت ماء يوضع في زيت مغلي « *تششششش تششششش*» ، همسات وأصوات تبدو قادمة من الجحيم المستعر كانت تسمعها بوضوح ، قلبها سيتوقف بعد دقيقة إن لم ينجدها أحدهم ، حاولت الصراح ، ولكن كيف وقد أمسك أحدهم بلسانها كما شعرت بتلك الأيدى التي خرجت من الظلام لتمسك بأقدامها المتعبة التي تلف بها من بداية النهار لتحضر الأغراض، وما يحتاجة سكان العمارة من السوق والبقال والمتاجر والمخابز ، أقدام مليئة بالجروح والخدوش والتجمعات الدموية الكثيرة تئن من مسح الدرج وصعوده يوميًا ربما كل ساعة .

تئن من جمع القمامة وقاذورات السكان وأوساخهم وإلقائها بعيدًا مقابل القليل من المال ، يدان متعبتان من قسوة الحياة فبرزت عروقهما بشدة ، سقطت الأكياس الكثيرة من بين يديها المتعبة ، فقد خارت قواها ولم تعد تتحمل ، هناك شيء يقف خلفها ويلمس ثيابها ، ويهمس بأذنيها ويتنفس خلف رأسها ، لقد شعرت بالتصاق أحدهم بها بشدة بالظلام ، لا تسطيع رؤيته ولكنها تشعر بلمساته لها ، وهنا رددت بغضب وهي تلتفت لتواجه الرجل وكانت تظنه الأستاذ شاكر ،

فمن الذي سيختبىء بالظلام ليتحرش بالسكان غيره، رددت بغضب :

- أيها الحقير سأخبر زوجي ...وهنا لم تستطع أن تكمل ما قالت فقد رأت عينين حمراوتين ينظران لها كالنار المتقدة من بين الظلام ، لم تعد تتحمل ما رأت من هول المنظر لقد رأت دخان أبيض كالسحابة يحوم حولها ، أخذت تصرخ وتصرخ بلا توقف وبعدها فقدت الوعي ومازال الدخان الأبيض يلف ويدور حولها بسرعة ليتجه إلى شقة الأستاذ شاكر ويدخل من بين ثقوبها إلى داخل الشقة ، سمع الجيران صرخات خميسة المرعبة العالية التي كانت وكأن هناك من يقتلع أجزاء من لحمها وهي حيه فخرجت الصرخات المفزوعة لتجعلهم يتركون ما في أيديهم ليروا ماذا حدث للمرأة ، وما الذي رأته جعلها تصرخ بتلك الطريقة المرعبة ، هبط سكان الأدوار العلوية بحذر وهم يتساءلون عن مصدر الصرخات ، حملوا كشفاتهم وهبطوا الدرج كانت أنوار كشفاتهم تهتز بشدو ورائحة العفن قد زادت عن الحد المعقول ، وكانت خميسة ساقطة على الأرض فاقدة الوعي ، شعروا جميعًا بالهمسات المختلطة ، شاهدوا المرأة ملقاة على الأرض وفوق جسدها قط أسود كبير يلعق وجهها عيونه حمراء دمويه ، أخذ يموء في وجوههم بشراسة ، مما جعلهم يشعرون بالرعب والتوتر فتراجعوا للخلف خطوتين وهم ينظرون برعب لهول ما يروا من منظر صرخت النساء برعب ، تقدم أحد الجيران وحاول إبعاد القط من فوق جسد المرأة ، استجاب القط بغضب ونزل يركض الدرج لأسفل ، كانت الرائحة بشعة ، صرخت إحدى الجارات سأتصل بالشرطة فالرائحة تبدو كرائحة الجثث المتحللة ، لم يرد أحد عليها فالكل مشغول بزوجة الحارس الفاقدة

الوعي ، حاولت إحدى النساء أن ترفعها عن الأرض فلم تستطع فصاحت احضروا كوب ماء وزجاجة عطر ، ذهبت إحداهن لإحضار ما طلبت وهنا ردد أحدهم :

- وأين حسان سأنزل لأنادي عليه ليساعد زوجته ، وقبل أن يتحرك من مكانه سمعوا صرخات الأطفال المستغيثة من أسفل وهم يرددون :

- أبي أبي ..

كانت الصرخات عالية جدًا ومريعة تمزق القلوب وتبكيها ، فما الذي حدث للأطفال ؟

ولماذا يصرخون بتلك الطريقة المريعة ؟

نزل بعض الرجال سريعًا تاركين زوجة الحارس ملقاة على الأرض ، تحاول بعض النساء إسعافها لمعرفة ما الذي يحدث بالأسفل ؟

تعالت الهمسات والخربشات الصادرة من شقة الأستاذ شاكر وكأن هناك من يحاول أن يخرج من باب الشقة ، صرخت إحدى النساء بصوت عالٍ :

-احترم نفسك يا أستاذ شاكر وأشعل نور الكشاف ، وهنا توقف كل شيء فرددت إحدى النساء :

- رجل غير محترم ولن يساعد أحد دعيه يا روقية ، حتى ميس رضا ليست موجودة بالشقة منذ فترة فقد أخذت ابنها وغادرت الشقة بسبب ما فعله معها منه لله ربي ينتقم منه

ردت أخرى :

-لا أدري إلى متى سنتحمل ذلك السيىء فقد كرهت العمارة بسببه وأصبحت أخاف على ابنتي من الصعود بمفردها فلم يسلم أحد من نظراته الخبيثة حتى الأطفال الصغار .

تعالت الأصوات بالأسفل ، والصرخات وسمعت زوجها ينادى عليها بصوت متوتر خائف بأن تتصل بالشرطة ، فحارس العمارة حسان قد قُتل في غرفته وقد نسى الرجل هاتفه بالشقة ، وكانت خميسة زوجته بدأت تستعيد وعيها وسمعت ما قاله الرجل برعب ، فحاولت الوقوف وهي تصرخ برعب :

-حسان زوجي قُتل ...

***

رجال شرطة في كل مكان، وسيارات الإسعاف ورجال بحث جنائي يبحثون عن أدلة في كل شبر بالمكان ومن حوله ، زحام شديد حول البناية وقد تجمع الناس لرؤية ما الذي يحدث ، فقد وُجد بواب البناية مُعلقًا من رقبته في منتصف الغرفة بعد ذبحه كالنعاج ، ولم يكتف القاتل بذلك بل قام بطعن الرجل عشرات الطعنات التي اخترقت جسده ، دماء في كل مكان بالأرض وعلى الجدران زفارة الدماء كريهة كانت تملأ الغرفة الصغيرة التي لا تحتوي على نوافذ ويسكن فيها الرجل وزوجته وطفليه التوأم ، كانت النساء تصرخ بهيستريا والأطفال مرعوبه ، ومن شاهد منظر الجثة يشعر بالدوار والغثيان فالمنظر كان مرعبًا ومخيفًا لأقصى درجة ، والسؤال يدور في الأذهان من الذي فعل ذلك بالرجل وما

الذي فعله الحارس المسكين الذي ترك بلده وأتى ليبحث عن لقمة العيش وحياة كريمة له ولعائلته بالمدينة ؟

كان السؤال يرواد العقول المشتتة والأبصار الشاخصة تبحث عن إجابة عادلة لما رأت ، فهل تلك هي النهاية حبل في منتصف الغرفة ملفوف حول الرقبة ؟

طعنات ممتزجة بالآهات والألم ورائحة الزفارة للدم المسفوك بلا عذر أو سبب ، فهل تلك هي نهاية السعي في الدنيا ؟

دماء وغدر ولكن لماذا ؟

فلو يعلم الإنسان بأن نهايته والأجل يأتي في لحظة واحدة ،لا يعرف ولا أين ستكون ؟

ووقتها سيذهب لمكان آخر بعيدًا عن صخب الحياة ومتاعها ، سيبقى وحيدًا في مكان مظلم يسأل عما قدم وما أخر من عمل ، لقد كان الرجل منذ ساعات قليلة يمشي ويذهب يراه الجميع ، فقط دخل ليستريح من صداع في رأسه وينام قليلاً ، هل شعر وتألم بما حدث له ؟

هل رأى القاتل يا ترى وشاهد نهايته أمامه ؟

أم كان في غفلة من أمره ونائمًا في شبات عميق لم يعلم ماذا جرى ؟

هكذا نحن في غفلة من أمرنا دومًا ، يرسل الله لنا الإنذار والتحذير واحد تلو الآخر لنتعظ ونعود ، فيموت منا من يموت وهو مازال في غفلة من أمره ولم يستيقظ بعد

فربما موته رسالة لنا لنراجع حساباتنا ونتعظ ، ليخبرنا الله رسالته وبأن الموت قريب ويأتي في لحظة واحدة فهل أعددت العدة لتلك الرحلة الأبدية ، فلن يرحل معك فيها أحد ليساندك ويؤنسك سوى عملك ، سيتركك الأصدقاء والأهل والأحباب ، حتى أمك وأبيك اللذان لم تفترق عنهما لسنوات عديدة سيتركانك وحيدًا تذهب ، وحتى أطفالك ورغم ما فعلته من أجلهم وتعبك معهم وسهرك الليالي من أجل إسعادهم ، لن يذهبوا معك ، سيخاف الجميع من الذهاب معك وسيرفض بشدة رغم تعلقه بك الشديد ولكن عندما يأتي الموت إليك ليزورك سيتركك الجميع ولن يحاول أحد اللحاق بك ليكون معك ، هنا ستكون وحدك يا ابن آدم ولن يرافقك سوى عملك .

كان الجميع يفكر في الموت والنهاية والآخرة أفكار مختلطه وأسئلة بلا أجوبة أخذت تراود عقول الحاضرين ، فتساقطت الدمعات حزنًا وخوفًا من النهاية .

كان رئيس المباحث ومساعده يحققان مع الجيران ، الحادثة مرعبة والنهاية قاسية لرجل مسكين كحارس البناية حسان ، قال حسام ساخرًا :

- لا تقل لي بأن المعلمة آخر من تشاجر مع الرجل ، سمع صوت الجيران يخبره بأن رضا مختفية منذ عدة أيام هي وابنها ، شعر حسام بالتعجب فتلك هي المرة الأولى التي لايذكرون اسمها في جريمة قتل منذ عدة أيام .

سأل الزوجة التي كانت عيونها تدور وتلف بلا هدف لا تصدق ما الذي يحدث من حولها :

- هل كان هناك خلاف بين زوجك وبين ميس رضا

شردت ببصرها ورددت بين دموعها الغزيرة :

- لم يكن يحبها ودومًا كان يفتعل المشاكل معها ، أخبرته أكثر من مرة ليس لك دخل بها ولكنه كان يتدخل رحمه الله

- ومتى رأيتها آخر مرة

- منذ أربعة أيام حصل مشادة معها ومع أستاذ شكري جارها في نفس الطابق ، فتدخل حسان وكان لا يعجبه ما يحدث

- وما الذي كان لا يعجبه لا أفهم ؟

- لا يعجبه ميس رضا وزميلها الذي يأتي إليها في المنزل وهي سيدة مطلقة تعيش وحيدة

- هل كانت أخلاقها سيئه لتلك الدرجة وسيئة الخلق

- أستغفر الله لا فميس رضا سيدة محترمة ولكن كان أستاذ شاكر يتهمها دومًا في شرفها وآخر فترة عندما جاء رجال الشرطة ليأخذونها كان كل ذلك لا يعجب أحد وحتى الجيران اشتكوا منها وبدأوا يتضايقون من وجودها بالعمارة

- وأين الأستاذ شاكر الآن هل هو في منزله؟

- لا لقد اختفى منذ أربعة أيام كما اختفت المعلمة ورائحة كريهة تخرج من شقته وأمور غريبة تحدث في الطابق المظلم ، وتليفون زوجته لا يرد

هز رأسه وأشار إلى مساعده أيمن الذي فهم الأمر ، واصطحب بعض رجال الشرطة للصعود إلى الطابق وكانت رائحة كريهة تملأ المكان و لا تُطاق والعتمة شديدة جعلتهم لا يتحملون الرائحة ، فأمر بعض الجنود بكسر باب الشقة وكانت الصدمة ، جثة أخرى معلقة من رقبتها وعيونها جاحظة ولسانها متدلى للأسفل ودماء متجلطة في كل مكان ، كانت الجثة قد بدأت في التحلل والدود يخرج من الجسد ويتساقط على الأرض في منظر مرعب ومخيف والعديد من الذباب يحوم حول الجثة ، مئات الحشرات الطائرة السوداء ومئات الديدان الصغيرة تنهش في لحم الرجل وأحشائه التى سقطت على الأرض في منظر لن يُمحى من ذاكرة من رأوه للأبد ، وجعلتهم يؤمنون بأن تلك الدنيا لا تساوى شيئًا حقًا وفانية ، وضع الجميع المناديل الورقية على أنوفهم حتى لا يستنشقوا تلك الرائحة الكريهة التي تدفقت سريعًا عند كسر باب الشقة ، أخذ الذباب يتطاير ويخرج من باب الشقة سريعًا وكأنه وجد الخلاص والتحرر للعالم بعد الحبس لسنوات وسنوات في قفص مغلق ، لم يتحمل أيمن ، فنزل سريعًا يريد استنشاق القليل من الهواء النظيف النقي ليخرج تلك الرائحة من صدره .

***

-١١-

حالة من الصدمة أصابت الجميع ، سكان البناية الذين لم يستطيعوا التحدث من هول ما رأوا وما شاهدته أعينهم ، أفكار سوداء أخذت تطارد عقولهم المرهقة ، فإن كان الرجل قد قُتل منذ فترة فمن الذي كان يضايقهم ويهمس في آذانهم منذ عدة أيام ويضربهم على وجوههم ، وما تلك الأصوات التي كانت تصدر من شقة الرجل ، فهل كان شبح شاكر يريد إخبارهم بما حدث له ؟

وهل الأشباح والعفاريت تستطيع فعل ذلك والتعبير عن وجودها والثورة على واقعها كما يفعل البشر .

كانت النساء تشعر بالصدمة والرعب الارتجاف في أوصالهن والرعشة تسري في الأجساد بلا توقف ، والأنفاس متسارعة ودقات القلب كالطبول تضرب الصدور بصوت عالٍ محاولة اختراق القفص الصدري ، هل العمارة أصبحت مسكونة بالعفاريت ، قتيلان بالعمارة شيء مُرعب ومخيف جدًا .

كان رجال الشرطة مازالوا يجمعون الأدلة ويرفعون البصمات ، والبحث عن زوجة الرجل الممرضة فقد اختفت بطريقة غامضة وأغلقت هواتفها ، فهل هي القاتلة ؟

حتى رضا المشتبه الأول في القضية ، فقد كانت آخر من تشاجر مع الرجل واتهمها في أخلاقها وشرفها أمام الجيران ، فهل قتلته انتقامًا وفرت هاربة ، ولكن لم عادت لتقتل حارس البناية المسكين وفي غرفته اليوم .

وهنا صرخت خميسة مرددة:

- إن كانت قتلت أستاذ شاكر فمن المؤكد هي من قتلت زوجى حسان .

نظر لها أيمن طويل وتساءل من هي :

- من تقصدين

- ميس رضا ومن غيرها لقد انتقمت من زوجى المسكين وقتلته

- هل رأيتها اليوم بالعمارة

- لا ولكن لم لا تكون بالشقة ومختبئه بها

- ولكن باب الشقة مغلق ويبدو أن ليس بها أحد من أيام ومن كمية الأتربة على باب الشقة .

- لا أعرف ربما قتلت زوجى وهربت .

وفي أثناء التحقيق ومحاولة منع الناس من التزاحم أمام باب العمارة ، أتى جندي ليخبر رئيس المباحث بأن هناك سيدة تقول إنها من سكان العمارة وتريد الدخول لإحضار بعض الأغراض من شقتها ، رد الشرطي بفتور:

-دعها تمر

وبعد قليل رفع حسام حاجبيه بدهشه وهو يرى ميس رضا قادمة نحو العمارة ببراءة وكأنها لم تفعل شيء ولم تقتل أحد ، وهنا صرخت خميسة في وجهها مرددة :

- لماذا حرمتينى من زوجى ، لماذا قتلتيه حاولت التعدى عليها وغرز أظافرها الطويله في عنقها ولكن رجال الشرطة منعوها بشدة ، وهنا نظرت لها ميس رضا برعب وهي لا تصدق ما تسمع ولا ما تقوله المرأة فهل قُتل حسان الحارس ولكن لماذا وماذا فعل الرجل لتكن نهايته القتل ؟

هتفت برعب وهي تتراجع للخلف :

- ماذا تقولين أنا لم أفعل شيئًا ولم أقتل أحدًا ؟

حاولت الفرار ولكن إشارة من رئيس أيمن جعلت الجنود يمسكونها بقوة ويمنعونها من المغادرة ، نظرت لهم وهي لا تفهم شيء فماذا فعلت هي ؟

وهنا سمعت صوت حسام وهو يردد:

- أين ستذهبين يا ميس رضا ، فنحن نبحث عنك منذ زمن ؟

نظرت له برعب ورددت :

- تبحثون عني أنا ولكني لم أفعل شيئًا أقسم لكم ؟

أشار إلى الجنود باصطحابها إلى سيارة الشرطة للتحقيق معها فلم يكن هناك مكان مناسب للتحدث ، ولقد كان يود التحدث معها فعندها حل لغز كل تلك الجرائم وسلسال الدم الذي لا يتوقف ، صعدت سيارة الشرطة أمام نظرات الجيران المتسائلة هل حقًا تلك المرأة هي القاتلة ؟

وإن لم تكن هي القاتلة فلماذا عادت لمكان الجريمة ؟

فدائمًا يحوم المجرم حول مكان جريمته ويريد معرفة هل الشرطة اكتشفت أمره أم لا ، ويبدو أنها عادت لمكان الجريمة من أجل إبعاد الشبهة عنها .

وضعها رجال الشرطة بالسيارة ووضعوا حراسة مشددة حول السيارة ، واستكملوا التحقيق مع الجيران والموجودين وكأنها ليست موجودة ولم يبال أحد بصرخاتها المتوسلة أن يتركوها وشأنها فلم تفعل شيء ، ولكنها عادت اليوم لأخذ الأوراق الخاصة بأشعة ابنها لعرضها على الطبيب المختص ليلاً ولكن من سيصدقها ويصدق كلامها .

***

في قسم الشرطة

جلست رضا منهارة أمام رئيس المباحث تشعر بالإعياء الشديد والمرض فقد ظلت ست ساعات داخل سيارة الشرطة سيئة التهوية ، ولم يبال أحد بصرخاتها المتوسلة أن ينقذها أحدهم ، فماذا فعلت لا تدري ولا تفهم شيء؟

حمدت ربها بأن الجندى سمح لها بالاتصال بحماتها ، وأبلغتها بأنها ستتأخر وتراعي الصبي حتى تعود فلا تعرف ما الذي حدث ويتهمونها بقتل أحدهم ، وأوصتها بالاهتمام بابنها ، لم يترك لها الجندي فرصة لإكمال حوارها والتحدث مع ابنها بل أخذ منها الهاتف كما أمره رئيس المباحث ، فوجئت بأن الأستاذ غانم أرسل لها محاميًا ليكون معها وقت التحقيق ، فلم يتخل عنها الرجل لآخر لحظة رغم شكه بها .

نظر لها رئيس المباحث طويلاً وهو ينفث دخان سيجارته بالهواء وردد:

- أخبريني كيف قتلتيهم ؟

- رددت بفزع وهى ترفع يديها التي ترتعد من تلقاء نفسها لأعلى :

- وهل ترى بأن تلك اليدين المنهكتين تستطيعان قتل أحدهم

نظر لها طويلاً فكلامها منطقي ويديها ضعيفتان وعروقهما بارزة من حمل ابنها القعيد ، وأعصاب يديها منهكة وبشدة ، فردد:

- ولكن كل الشهود والأدلة ضدك يا رضا

- وما دخلى أنا بأن الشهود يشهدون الزور ويفترون علي وأنا لم أفعل شيء ؟

- ولماذا عدت لمكان الجريمة ؟

- لم أعد لمكان الجريمة بل عدت إلى منزلي لأخذ فحوصات ابني ، فلدي موعد مع الطبيب وكنت نسيتها بالمنزل قبل المغادرة منذ أيام .

- وأين كنتِ ولماذا تركتِ منزلك ؟

- لقد اتهمني الجيران بسوء الخلق ، ولم أستطع البقاء

- ولماذا يتهمونك بذلك ؟

- لأن أستاذ غانم صعد ليطمئن على ابنى المريض ، فلم يعجبهم الأمر

- ولكن ما دخل الجيران بحياتك الشخصية يا ميس رضا ، ولماذا تخافين من كلامهم ؟

- قل لهم ذلك ولا تقله لي يا سيدي ، ما دخل الناس والجيران بحياتك ، فدائمًا المرأة المطلقة مراقبة وتحت المجهر دومًا ويحاسبونها على أي تصرف يصدر منها وكأنهم عُينوا حكامًا وحرسًا على حياتها الشخصية وينتظرون منها أن تخطىء وأن ترتكب الفاحشة في أي وقت ، فلماذا تسألني أنا بل اسأل المجتمع والناس ، لما لم يتركوني أربي ابني بسلام وأحاول معالجته ليستعيد حياته مثل أطفالهم لماذا، فأنا حقًا لا أفهم لماذا ؟ .

تساقطت الدموع الحارة الساخنة على وجنتيها معبرة عما يجول بصدرها من ألم وشعور بالقهر والظلم الشديد ، قدم لها الشرطي منديلًا ورقيًا وكوبًا من الماء وهو يردد :

- وكيف قتلتِ جارك شاكر قبل أن تغادري المنزل ، رفعت حاجبيها بفزع للأعلى ورددت وهي تضع كوب الماء وتطلق ضحكة ساخرة :

- ظننتك لوهلة إنسان وتصدقني يا حضرة الظابط ، فلماذا تفعل ذلك ؟ وأخذت بعدها تضحك بلا توقف ، ولا تحاول كتم ضحكاتها ، فيبدو أنها أصيبت بصدمة شديدة ، انتظر الرجل حتى توقفت عن نوبة الضحك الهيستيري التي أصابتها وأعاد السؤال مرة أخرى ، ولكنها لم ترد عليه بل رفعت حاجبيها وهزت كتفها بمعنى لا أعرف ، فردد :

- متى غادرت المنزل ؟

- في تمام السابعة تقريبًا ، طلبت سيارة أجره من أحد التطبيقات

- وإلى أين توجهت ؟

- إلى منزل جدة ابني ، قضيت معها تلك الأيام

- غريب.... جدة ابنك ، على حد علمي أنتِ مُطلقة أليس كذلك

- نعم مطلقة ، ولكن جدة ابنى سيدة طيبة وليست كابنها وتعاملني بلطف وتحب حفيدها بشدة.

- غريب ..... وهل طليقك يعرف بالأمر؟

- لا ... فكريم لا يهتم بأمر أحد سوى أمر نفسه فقط ، ويريد موتنا جميعًا بأي شكل ورحيلنا من الحياة كلها والذهاب للجحيم بأي شكل .

- ردد الرجل كلامها بشرود :

- يريد موتكم ورحيلكم من الحياة كلها لماذا؟

- لأنه يكرهنا جميعًا فهو شخص نرجسي ومريض نفسيًا لا يحب سوى نفسه .

- غريبة يكره حتى ابنه المريض

- ابتسمت بسخرية وهى تردد:

- إنه السبب في مرض ابنه وسبب ملازمته لكرسي متحرك ، وتساقطت العبرات من عينيها عندما تذكرت يوم الحادث ، نظر لها حسام طويلاً ثم قال :

- أخبريني ماذا فعل ؟

رفعت عيونها المليئة بالموع وأخبرته عما حدث يوم الحادث ، وكيف فتح باب السيارة وقفز الصبي خوفًا على فقد أمه ، كيف تدمرت حياتها في لحظة غضب من زوجها وكيف تعاني الآن وستظل تعاني مدى الحياة وهي تشعر بالذنب وتأنيب الضمير تجاه ابنها الذي لا تستطيع مساعدته ؟

ولم تُحسن اختيار والده ، الذنب لأنها أسات اختيار والده ؟

الذنب لأنها لم تطلب الطلاق من زمن وتربي ابنها في بيئه صحية بعيدًا عن والده المريض نفسيًا ؟

الذنب لأنها تحملت من أجل كلام الناس حتى لا تحصل على لقب مُطلقة ، فما ذنب ابنها الذي تدمرت حياته بسبب سوء اختيارها وتسرعها في الزواج واعتقادها بأن قطار الزواج سيفوتها ولابد من أن تتزوج من أي شخص يتقدم لطلب يدها حتى لا تفوتها الفرصة ، فما ذنب ابنها في كل هذا ؟

شعر حسام بالغضب من بشاعة الرجل ، فحتى إن كان يكره زوجته ما دخل ابنه الصغير ليفعل ما فعل أمامه ويدمر نفسيته وحياته ، حتى وإن كان يكره زوجته ويتمنى موتها وليس هناك وفاق بينهما لم لا يتركها ويسرحها بالمعروف ويظل الود والعشرة بينهما من أجل الصبي الذي ليس له ذنب في كراهية الوالدين ، فما ذنبه هو بأن أبوه يكره أمه ويتمنى موتها وأذيتها ؟

لما لا يفكر الأبوان في أبنائهما قبل أذية بعضهما البعض ، فهم

يخرجون للمجتمع مرضى نفسيين وقتله وسفاحين بسبب ما يراه الأطفال منذ الصغر وما يتجرعونه من قسوة وحقد وغل وعنف وكراهية من والديهم .

والنهاية الأطفال هم من يدفعون الثمن وهم من يتحمل نتائج أخطاء الآباء .

وهنا قطع حبل أفكاره صوت دقات الباب التي طرقت وبعدها فتح ودخل أحد الجنود وألقي التحية العسكرية وردد بآلية :

- هناك محامي بالخارج ويقول بأنه حاضر مع المتهمة للتحقيق ، رفعت عينيها بدهشة محامى حاضر معها فمن الذي أحضره يا ترى ليدافع عنها ؟ ، فحماتها سيدة كبيرة بالسن ولا تعرف شيء بالحياة ؟

كانت تفكر عندما دخل المحامي يبدو عليه الوقار «رجل تجاوز الخمسين عامًا ، ضخم الجسد وطويل شعره رمادي ، يرتدي عوينات طبية سميكة يبدو الرجل مهيبًا وله هيبة وشأن ، ردد الرجل :

- المستشار حسين أبو الفضل المحامي حاضر مع الأستاذة رضا يا فندم، رددت مشدوهة... مستشار ؟

ومن الذي وكله للدفاع عنها يا ترى كان الفضول يقتلها من الداخل لتعرف ؟

أخذ المحامي يعرف نفسه ويسأل رئيس المباحث بعض الأسئلة ، وكانت تستمع لهما بعدم فهم ولكن يبدو أن الرجل يعرف ما يفعل حقًا وسيساعدها بصدق ، انتهى التحقيق وقرر الشرطي عرضها على النيابة ، وكانت تتابعه بفضول تتمنى معرفة من الذي أرسله ، قالت

بفضول وهي تنظر للرجل متسائلة :

- هل تخبرني من الذي أرسلك لتساعدني رجاء ؟

ابتسم المحامي مُردِدًا :

- لا تقلقي سيكون كل شيء بخير يا أستاذة رضا ، لقد أرسلنى أستاذ غانم، ابتسمت رغمًا عنها فمازال الرجل يساعدها رغم شكه فيها وعدم إيمانه ببراءتها فقد رأت السؤال في عينيه مرارًا ، وشاهدت نظرات الاتهام في عينيه رغم عدم سؤاله لها ولكنه خذلها بالنهاية ، نظراته التي تتهمها أحرقت قلبها وبنت جدار عازل بينها وبينه ولم تستطع هدم ذلك الجدار العازل مع مرور الوقت .

صمتت ولكن دموعها تساقطت رددت بخفوت:

- أنا بريئة أقسم بالله لم أفعل شيئًا ولم أقتل أحدًا .

نظر لها المحامي ولم يرد ، أمر حسام الجندي باصطحابها للزنزانة فقد تم حبسها على ذمة التحقيق ، خرجت ودموعها تتساقط سمعت صوت المحامي يردد:

- لا تقلقي سيكون كل شيء بخير ، لقد أحضر لك الأستاذ غانم بعض الطعام والشراب وتركه بالأمانات سيصلونه لك بالزنزانه لا تخافي يا أستاذة .

نظرت له ودموعها تتساقط وقالت :

- أرجوك أخبره أن يطمئن على ابنى ويخبره بأنني لم أفعل شيء .

هز رأسه بنعم وأخذها الجندي إلى الزنزانة ، وخرج المحامي وكان

غانم ينتظره بالخارج ليعرف منه ما الذي حدث ، ولكن المحامي لم يطمئنه فالمرأة موقفها سيىء جدًا ، والشهود يؤكدون هي آخر من تعامل مع القتلى وهددتهم وتوعدتهم بالعقاب ، كان غانم يشعر بالحيرة من أمره ، لا يدري هل هي القاتلة ولكن كيف ولماذا ، وكيف لتلك الرقيقة أن تفعها وتلطخ يديها المنهكتين بالدماء ؟

***

صرخ حسام بصوت عالٍ :

- كوب من القهوة الثقيلة يا غبي فلماذا تأخرت ؟

رد الجندي بصوت خافت :

- لقد أحضرت كوبًا منذ دقائق يا سيدي .

وهنا تدخل أيمن سريعًا قبل أن ينفعل رئيسه فهو يعرف بأنه عصبي وردد:

- حسام بك ، لقد تناولت أكثر من عشرة أكواب من القهوة حتى الآن ، صحتك أهم عندنا من أي شيء .

- هناك شيء خاطىء يا أيمن ، فهل تلك المرأة الضعيفة تستطيع قتل كل هؤلاء وتعليقهم بالجدار وذبحهم وتقطيع أوصال بعضهم ، هناك شيء خاطىء .

لم يرد على رئيسه بل كان عقله مشغولًا بالمرأة المنتقبة التي تظهر كل مرة بالقرب من مكان الجريمة ، ولا يظهر من وجهها شيء فتلك المرة ظهرت أيضًا ولكن كانت قريبة جدًا فظهرت بوضوح ،

كانت هيئتها تبدو قوية كالرجال وطويلة ، وليست بهيئة تلك المرأة القصيرة فردد :

- أعتقد بأن تلك المرأة بريئة حقًا يا حسام بك .

- أشعر بذلك أيضًا يا أيمن ، فهناك من يريد إقحام المرأة بالأمر وتوريطها في جرائم القتل بأي شكل .

- نفس شعورى يا حسام بك وخصوصًا أن المرأة الي تظهر في الفيديوهات مرتديه الزى الأسود تبدو مختلفة تمامًا .

- من الذي يكرهها ويريد توريطها بالأمر ؟

- أعتقد طليقها كريم ، فقد شاهدت الرجل وهو نفس جسم المرأة ذات الرداء الأسود ، تقريبًا نفس الهيئة والجسد الخارجي ، كما إنه الوحيد الذي يكره المرأة ويتمنى موتها .

- يتمنى موتها فلم لم يقتلها هي يا أيمن بدلاً من قتل كل هؤلاء ؟

- ربما من أجل تعذيبها يا حسام بك وإيصالها للجنون وفقد عقلها ، فالمرضى النفسيين يحبون تعذيب ضحايهم ورؤيتهم وهم يتعذبون تسعدهم أكثر من موتهم الذي سينهي لحظات الاستمتاع ، فالدارك ويب ملىء بهؤلاء و يملأون العالم من حولنا ويرتكبون الجرائم لأتفه الأسباب والأمور بسبب عقولهم المريضة .

- هز حسام رأسه مُردفًا بشرود:

- ولكننى رأيت ذلك الرجل ويبدو أنه يخاف على نفسه ويهتم بها كثيرًا وربما أكثر من طليقته المُعلمة ، فالرجل يبدو بأنه يقوم بنظام

خاص لنظافة ونضارة بشرته ، فلا أعتقد بأنه يمكنه أن يقتل أحد أو أن يؤذي ليس لأنه لا يستطيع ، بل لأنه يخشى على نفسه وجسده يا أيمن من الأذى والخدش ، فالرجل مريض حقًا ومهوس بحب نفسه وجسده فكيف له أن يقتل بيديه ويعذب ضحاياه ، لا أعتقد فالرجل هش وضعيف رغم تكبره وغروره .

هز أيمن راسه مُردِدًا:

- ولكنه الوحيد الذي يكره طليقته ويتمنى حرقها حيه فقد رأيته وهو يحاول ضربها والتهجم عليها ولم يراع وجود ابنه القعيد أمامه .

- ربما يا أيمن فتلك القضية غريبة ،هيا استخرج تصريح من النيابة بالقبض عليه لسؤاله قبل أن يهرب .

خرج أيمن من الغرفة وأخذ حسام ينفذ دخان سيجارته في فراغ الغرفة وهو يفكر بعمق في كل تلك الجرائم ، ومنظر الجثث يطارد عينيه ، كلهم معذبون ومعلقون من رقبتهم ورغم موتهم بالاختناق إلا أن القاتل قام بالتمثيل بأجسادهم وكأنه ينتقم منهم ، الخمس جثث نفس التعذيب والتنكيل بأجسادهم ربما شاكر ومدير المدرسة أكثر من نالوا من التنكيل والتمثيل بأجسادهم ولكن لماذا ؟

وأخذ يفكر في تلك الحفرة العميقة التى وجدها الجنود خلف منزل مدير المدرسة ، فهل كان القاتل ينوي دفن مدير المدرسة فحفر الحفرة وبعدها تراجع ،كانت الأسئلة تدور في ذهنة بلا إجابة محددة وتتسع دائرة الشك في قلبه ، فمن صاحب المصلحة في قتل كل هؤلاء وما الرابط لقتلهم « موجه لغة إنجليزية وبعدها مدرس

لغة إنجليزية في نفس المدرسة ثم مدير المدرسة نفسها يُقتل هو الآخر تاركًا خلفه لغز كبير ، وبعدها جار وحارس البناية التي تسكن بها إحدى المعلمات بنفس المدرسة أيضًا ، لو سألنا طفل لا يفقه شيئًا بالحياة ، سيخبرك بأن السر عند المعلمة ، فهي حلقة الوصل في تلك الدائرة كلها ، وربما كانت هي القاتلة حقًا وترسم قناع الملائكة على وجهها من يدري ربما كانت تدعى كل ما تقول فهى تدعو للشك ومريبة أيضًا ردودها جاهزة ومستعدة لأي شيء ، ربما ما تعرضت له من ضغط نفسي أثر على عقلها ، فما الذي سيجعلها تعود لمكان الجريمة مرة أخرى إلا من أجل إبعاد التهمة والشبهة عنها لابد من التأكد من صحة وسلامة عقلها ربما كانت مريضة نفسية ومختلة ، أو هي امرأة تعسة سيئة الحظ وضعها حظها العثر في طريق سفاح يعرف ما الذي يفعله جيدًا ، وهز رأسه مُردِدًا بصوت خافت :

- لابد أن يرتكب المجرم خطأ واحد وبعدها سينكشف أمره وهنا ضرب بقبضته على المكتب أمامه بعنف وهو يردد ولكن متى سيرتكب تلك الغلطة يا ترى ، وهنا دخل الجندى وهو يحمل تقرير الطبيب الشرعي ، نظر للورقة كثيرًا وبعدها أطلق ضحكة عالية .

***

أخذ عمر يبكي وهو يسال جدته :

- لماذا لم تعود أمي يا جدتي حتى الآن لا أفهم فأمى لم تفعل شيئًا

- لا تقلق يابني سيكون كل شيء بخير ، كانت المرأة تعرف ما الذي حدث فقد اتصل بها غانم وأخبرها كل شيء ، وكانت تعرف بأن زوجة ابنها ليست بقاتله ولا يمكنها قتل دجاجة ، وليس خمسة

رجال أقوياء ، فهناك شيء خاطىء بالأمر .

- ردد الصبي بقهر هل ستعود أمي ؟ هل سأراها مرة أخرى ؟

- نعم ستعود يا بني لا تقلق وسيكون كل شيء بخير ، هيا نستعد فلدينا موعد جلسة علاج طبيعي ، هل أساعدك في ارتداء ثيابك

- لا لقد علمتنى أمى ارتدائها بمفردي

فقالت الجدة سريعًا:

- إذاً هيا ارتدي ثيابك حتى لا نتأخر يا بني ، ذهب الصبي وهو يدفع كرسيه المتحرك للأمام متجهًا لغرفته ودموعه تتساقط ، فلماذا يحدث كل ما حدث لأمه ، رن هاتفه وكان صديقه «كارم » ، عرف منه أخبار أمه وكان الفتى حزين على ما حدث فمعلمته لا تستحق ما حدث لها أبدًا ، وعرف من عمر عنوان جدته وقرر أن يأتي لزيارته والذهاب معه لمركز العلاج الطبيعي فكما أخبره الصبي فجدته سيدة كبيرة بالسن ،

أخذت الجدة ترن على هاتف ابنها كريم كثيرًا ، كانت تريد منه أن يصطحب ابنه إلى مركز العلاج الطبيعي فصحتها لا تساعدها على حمل الفتى ، ولكنه كعادته لا يعيرها انتباها ولا يرد على هاتفها الجوال .

لا تدري ماذا سيفعل إن ماتت يومًا فهل سيتخلى عنها ولن يدفنها ويودعها إلى مثواها الأخير ، كانت تشعر بالاختناق كلما أتتها تلك الفكرة ، فهل سيترك جسدها يتعفن ويأكله الدود دون أن يدفنها ابنها الذي حملته تسعة أشهر في بطنها وأرضعته عامين كاملين وتعبت

في تربيته ، فهل هذا جزاءها بالنهاية ، أعادت الاتصال مرارًا وتكرارًا بلا فائدة .

جلست على الأريكة وهي تشعر بالضيق الشديد ، وأخذت تفكر كيف ستتصرف وكيف ستذهب بحفيدها للطبيب ؟

فكرت في طلب المساعدة من أحد الجيران، وهنا رن هاتفها وكان رقمًا غريبًا ..

- من معي ؟

- أستاذ غانم أعتذر للإزعاج ولكن اليوم جلسة العلاج الطبيعي لعمر هل تسمحين لي باصطحابكم للمركز بسيارتي ؟

- أستاذ غانم بارك الله فيك يا ولدي ، وكيف حال رضا هل هي بخير ؟

- لا تقلقي ستكون بخير إن شاء الله ، هل أنتم مستعدون ،حتى لا نتأخر .

- خمس دقائق يا بني وأرتدي ثيابي .

أخذ منها العنوان كاملاً ، ووضعت هي الهاتف وهي تشكر الله وتدعو للرجل لقد أنقذها فكانت لا تعرف ماذا ستفعل وكيف ستذهب بالصبي ولقد عرفتها زوجة ابنها بالرجل يومًا وأخبرتها بأنه زميلها ويساعدها دومًا ، ولكنها لم تخبرها بطلبه للزواج منها

شعرت بالارتياح وتمنت لو كان ابنها كريم رحيم القلب مثل ذلك الرجل الطيب ، لو كان يشعر بمعاناتها ومعاناة من حوله وخصوصًا

ابنه المُصاب ، ولكنه لا يعرف سوى نفسه ولا يحب غيرها بالكون ، زفرت بضيق وتنهدت بحرارة وقالت :

- لقد فات الآوان للنحيب الآن بعد كل تلك السنوات ، وهنا دق باب المنزل ، فتعجبت هل جاء الأستاذ غانم بتلك السرعة ؟

فتحت الباب فوجدت أمامها شابًا طويلًا يملأ النمش وجهه وشعره طويل منكوش وعيونه زائغة قال بصوت متلعثم :

- هل عمر هنا ؟

- نعم يا ولدي من أنت ؟

- أخبريه كارم صديقه ، نظرت له الجدة بفضول فيبدو الصبي كبير بالسن عن حفيدها ، فرددت :

- هل أنت صديق عمر وكيف عرفت بمكانه ؟

وهنا خرج عمر من غرفته وهو يدفع كرسيه أمامه وردد بترحاب :

- مرحبًا يا كارم لقد جئت سريعًا ، أفسحت الجدة الطريق للصبي ليدخل فيبدو إنه يعرف حفيدها ، دخل وقبل عمر بترحاب وقال الأخير لجدته:

- هذا كارم يا جدتي طالب عند أمي وصديقي الوحيد بالحياة ، هزت الأم رأسها وهى تحاول استيعاب ما يقوله حفيدها ، وهنا قالت سأذهب لأرتدي ثيابي فالأستاذ غانم سيصطحبنا إلى المركز ، تغير وجه كارم قليلاً ردد:

- ولكني سوف أصطحب كارم صديقي يا جدتي للطبيب ، لقد

أخبرته بالهاتف نظرت له الجدة بتعجب ، فماذا يقول الفتى ؟

فرددت وهي تبتسم : وكيف يا بني وهل لديك سيارة ؟

- كنت سأطلب سيارة أجرة لتقلنا إلى المركز فأنا أعرفة كنت أذهب مع ميس رضا وعمر .

- لقد أخبرت أستاذ غانم والرجل بالطريق ولا أستطيع الاعتذار منه يا بني سامحنى وشكراً لك ، كما إنني أريد رؤية غانم لسؤاله عن رضا وعما حدث بالتحقيق معها ، تساقطت العبرات من عيون عمر وردد:

- أمي لم تفعل شيئًا يا جدتي ، ربتت على رأسه مرددة .... أعرف يا ولدى فأمك أحن إنسان بالكون كله ، وستخرج قريبًا ويظهر الحق لا تبك ، سأذهب لأرتدي ثيابي ، وتركته مع صديقه ودخلت غرفتها ، وسمعت حفيدها يقول لكارم :

- هل أنت بخير يا صديقي فما ذلك الجرح في يديك ، فرد الآخر :

- إنه أبي يا عمر لقد آذاني بشدة بسبب زوجته الجديدة فهو لا يحبني كما أخبرتك من قبل لا أعرف لماذا أصبح يكرهني ، كنت أتمنى أن أحكي لميس رضا كل شيء فأنا أفتقدها تمامًا ، وهنا رد عمر :

- مثل أبي أنا الآخر يكرهني بشدة وهو سبب معاناتي بالحياة أتمنى أن يموت ويرحل وتعود أمي لتعيش معنا أنا أيضًا أفتقدها وأتمنى أن تعود قريبًا وبعدها تساقطت العبرات من عينيه ، وسمع صوت كارم يردد بشرود ممتزج بالحزن: .

- لا تقلق يا صديقي سيموت والدك يومًا ، كما سيموت والدى ويرحل كما رحلت أمي فكل كائن حي يموت بالنهاية مهما طال عمره .

- ردد الصبي بحزن :

- أتمنى ألا أراه مرة أخرى فأنا أكرهه بشدة .

لم يرد عليه كارم ، بل صمت وهو أيضا يتمنى ألا يرى والده مرة أخرى ، ويتمنى عودة أمه إلى حضنه والتحدث معها كما كان يفعل دومًا ، وعمل كل شيء معها فلم تتركه أمه يومًا منذ ولادته وكانت دومًا معه لسنوات وتذهب معه كل مكان بالحياة وتستمع له ، فلماذا تركته وابتعدت عنه لم لم تأخذه معها لا يفهم لماذا ؟.

جاء الأستاذ غانم لمنزل الجدة وفتح له كارم الباب وتفاجأ المعلم بوجود الفتى ولكنه كان يعرف بمدى تعلقه بمعلمته وبعمر ابنها فقد أخبرته رضا عن الصداقة القوية التي نشأت بين الصبيين ، وكان كارم يقضي معظم وقته مع ابنها في غيابها ويذاكر معه وكانت هي تشعر بالارتياح لوجود الفتى مع ابنها ليعوضه عن بُعد الأصدقاء وتخلي الأب عنه ، سلم عليه بفتور فقد كان لا يحب الفتي ويرى بأنه غريب ومختلف عن زملائه ، وهو لا يحب غريبو الأطوار ، ويرى بأن الصبي غير سوى ونظراته بها شيء غريب وكان يعترض على وجود الفتى مع عمر فليس من سنه ، ولكن رضا كانت تحب الصبي وتعامله كابنها وكان ابنها يحبه فقرر ألا يتدخل بالأمر ردد غانم بفتور:

- مرحبًا يا كارم لماذا أنت هنا يا بني ، ولديك غدًا اختبار عملي هام لماذا لم تجلس لتذاكر دروسك وتستعد للاختبار غدًا ؟

ردد بصوت خافت :

- جئت من أجل عمر لاصطحابه لجلسة العلاج الطبيعي .

- لا عليك يا كارم سوف أصطحبه للمركز يمكنك الرحيل والاهتمام بدروسك فغدًا لديك اختبار يا بُني هيا ..

نظر له كارم بغيظ وتساءل بتوتر :

- وماذا عن ميس رضا هل هي بخير ؟

- ستكون بخير إن شاء الله لا تشغل بالك ، هيا ارحل من أجل اختبارك

يا كارم .

رحل سريعًا وهو يشعر بالضيق من معلمه ، فلماذا طرده من المنزل ؟

كان يريد أن يطمئن على معلمته التي يعتبرها أمه وعلى صديقه الذي كان يحبه بصدق ويعتبره أخ له يتحدث معه دومًا ويشكي له حاله ، خرجت الجدة من الغرفة بعد أن ارتدت ثيابها وتساءلت عن كارم ، فأخبرها غانم بأنه قد رحل ، لم تعلق بل شعرت بارتياح ، فلم ترتح للصبي ولا هيئته الغريبة ونظراته التي تبدو أكبر من سنه بكثير ، فكيف يكون ذلك الشاب صديق لحفيدها الصغير .

***

النهاية

اقتحمت قوات الشرطة منزل كريم عنوة بعد إصدار قرار القبض عليه من النيابة ، حاول رجال الشرطة الطرق على باب الشقة بعنف ولكنه لم يفتح الباب بالرغم من وجود الأصوات عاليه تخرج من خلف باب الشقة ، فاضطروا لكسر الباب واقتحام المنزل ، وهناك كانت الصدمة والمفاجأة تنظرهم بالداخل ، لقد كان الرجل معلقًا من رقبته في منتصف الصالة والعديد من الطعنات في أماكن متفرقة من جسده ، وأمامه كاميرا فيديو يبدو أن القاتل صور جريمته كاملة ، وكان القاتل في عجلة من أمرة فلم يمثل بالجثة كما فعل مع باقي القتلى ، مجرد جثة مُعلقة من رقبتها يتدلى لسانها للخارج وعيونه شاخصة للسماء ، وكاميرا فيديو موضوعه على حامل أمام الجثة المُعلقة ، فيبدو أن القاتل صور كل شيء .

نظر رجال الشرطة للجثة ، ووقف أيمن يتصل برئيسه ويخبره بما حدث ، دقائق مرت سريعًا حتى امتلأ المنزل برجال البحث الجنائي والشرطة والإسعاف ، كان المنزل مكتظًا برجال الشرطة كالذباب يملئون المنزل بكل مكان يبحثون في كل ركن وكل زاوية بالمنزل للبحث عن الأدلة .

كانت العيون تنظر بفضول للكاميرا فما الذي تخفيه وما الذي صورته يا ترى ؟

في مكتب رئيس المباحث وبعد رفع البصمات من فوق الكاميرا ، جلس حسام وأيمن وخبير في كاميرات المراقبة لفتح الكاميرا ورؤية ما سجلته ومعرفة من القاتل؟

شاهدوا على شاشة الكاميرا ، امرأة ترتدي ثيابًا سوداء وتغطي وجهها وكان الرجل ملقي على الأرض يبدو إنه مخدر ، رفعت المرأة وكشفت عن وجهها وكان وجه رجل ، خلعت الحجاب والنقاب والعباءة السوداء التي كانت ترتديها وكان رجلًا غريب الشكل بشعر مجعد ، يبدو في أواخر الأربعينات من عمره ، قام بلف الحبل حول رقبة الضحية ثم رفعه لأعلى وقام بشنقه وأخذ بعدها يطعنه بقوة في صدره العديد من الطعنات في أي جزء من جسده وما يقابله ، وأخذت الدماء تتساقط على الأرض بغزارة وكان الرجل قد فارق الحياة فلم يشعر بشيء ، وما يحدث له وبعدها ارتدى الرجل ثياب النساء التي كان يتنكر بها ورحل بهدوء بعد أن خلع القفاز الأزرق الذي كان يرتديه أثناء ارتداء الجريمة وارتدى القفاز الأسود وغطى وجهه ورحل وهو ينظر للكاميرا وكأنه يعلن عن نفسه ، أو ليخبرهم بأنه القاتل ، نظر حسام إلى أيمن وردد :-

من هذا الرجل ولماذا يصور جريمته ؟-

-لا أفهم وكأنه يخبرنا بنفسه يا حسام بك ولكن لماذا ارتدى النقاب وهو رجل مادام سيكشف عن هويته غريب جدًا تصرفه وغير مفهوم ..

- ردد حسام بشرود وهو يفكر وينظر لوجه الرجل على الكاميرا وهو ينظر لهم باستفزاز :

- هناك شيء خاطىء يا أيمن ، لا أفهمه بالرجل ، يبدو غريبًا فوجهه غريب وهنا سمع صوت فنى الكاميرات وهو يردد :

- هناك شيء آخر مُحمل على الفلاشة بالكاميرا يا سيدى هل تودان رؤيته ، نظر كلا من الرجلين للرجل ورردا بصوت واحد :

- اعرض ..

سمعا صوت الرجل وهو يردد:

- فلنعرض من البداية إذاً فيبدو الفيلم طويلًا نوعًا ما ... بدأ يحرك بعض الأشياء بالكاميرا ويضرب الأزرار ، وهنا صاح بانتصار :

- لنبدأ ..

والغريب كان أول جريمة قتل « الموجه أستاذ سالم » ، وكل ما حدث يومها وكان القاتل يكرر كل شيء ويصور الجريمة كاملة ليسجل الواقعة بالصوت والصورة ، وبعدها جريمة مقتل الأستاذ محسن المعلم ، وبعدها ناظر المدرسة أستاذ راجي ... ولكنه بعد أن نفذ جريمته وقف قليلاً ينظر من النافذة للخارج وبعدها خرج دقائق وعاد ، وهنا ردد أيمن :

- يبدو بأنه كان يحفر القبر الذي وجدناه بالحديقة يا حسام بك ، ولكنه تراجع لسبب ما ، فلماذا كان يريد دفن تلك الضحية بالأخص شيء غريب جدًا

كان رئيس المباحث يشاهد جرائم القتل التي تعرض مباشر وكيف يطعن ضحياه بدم بارد ، ودون أن يتأثر ، لا تبدو عليه أي علامات التأثر بما يفعل ، وكأنه يلهو بدمية وليس بجسد بشري كان منذ لحظات مليىء بالحياة والأمل في غد مشرق ، لا يعلم بأنه سينتهي بعد لحظات قليله على يد ذلك المختل عقليًا الذي يطعن في جسده

وكأنه دمية من القماش يلهو بها .

كانت مشاهد القتل بشعة وقاسية على النفس تُشعر المرء بالاشمئزاز والبشاعة غثيان يجتاح الكيان والنفس ويشعر المرء بالمرض والغصة في الصدر، أزاح فني الكاميرات وجهه بعيدًا واضعًا يده على فمه مانعًا نفسه من إفراغ ما في معدته من هول ما رأى من بشاعة وقسوة ، وما يعرض أمامه، لم يتلفت له أحد بل كان الرجلان مندمجان في مشاهدة الفيلم ومعرفة هوية القاتل ، لقد قام بتصوير الست جرائم وكيفية قتلهم بالتفصيل صوت وصورة ، ومع ذلك لم يبدو على الرجل أي تأثر أو لمحة من الندم ، كان يعرف جيدًا ما الذي يفعله ، تبدأ كل جريمه والجثث معلقة كالذبائح في مسلخ معلقة من رقبتها في خطاف في منتصف الغرفة ، بعد مشاهدة الشريط كاملاً ، لحظات من الصمت الثقيل في الأجواء فمن ذلك القاتل السفاح المريض ؟

ولماذا يقتلهم ويعذبهم بتلك الطريقة ؟

إذاً فالموضوع بعيد عن رضا معلمة اللغة الإنجليزية وليس لها دخل بموت أحد ، كان السؤال يرواد عقولهم من هذا القاتل ولماذا قتل من قتل وما الدافع والسبب؟

ردد حسام :

- كنت متأكدًا بأن تلك المرأة المسكينة لم تفعل شيء ، ولكن ربما حظها العاثر هو من أوقعها في طريق القاتل بالصدفة ، وأعتقد بأنها تعرفه ، احضرها لي يا أيمن الآن .

- خرج أيمن سريعًا ونادى على أحد الجنود وطلب منه أن يحضر المتهمة من الزنزانة ، بعد دقائق جاءت بصحبة الجندى وكانت منهكة بشدة لا تستطيع السير على أقدامها المتعبة ، فقد قضت عدة أيام على ذمة التحقيق في عذاب وانهيار تام ومرض وقلق ، والنوم على الأرض كانت تعيش في عذاب حقيقي ، دخلت الغرفة وهى تنظر لهم بعيون زائغة أسفل منها أسود كدب الباندا ، سمعت أحدهم يأمرها أن تجلس ، جلست كما أرادوا وهنا جعلها تشاهد صورة القاتل ، وسألها بفضول :

- من هذا ؟

- أخذت تنظر كثيرًا وهزت رأسها بعدم معرفة من يكون ، ورددت :

- لا أعرف فلم أره من قبل ؟

- تذكرى جيدًا لابد إنه يعرفك جيدًا .

- أقسم بالله لا أعرف من يكون ولم أره من قبل ولا أعرفه

- ولكنه يبدو بأنه يتبعك جيدًا ويريد أن يورطك في الجرائم ويلف المشنقة حول رقبتك ، ولكنه تراجع أو إنه نسى الكاميرا في آخر جريمة فكشفت أمره ، لم ترد على الشرطي لأنها لم تكن تفهم شيء ، أخذت تنظر كثيرًا لوجهه بلا فائدة فلا تتذكر بأنها رأته من قبل ، طلبت من الجندي اصطحابها للسجن وأخبرها بأنها سوف تخرج براءة بعد التأكد بأنها ليس لها دخل بشيء ولم تقتل أحد ، شعرت بالفرح ولكنها كانت خائفة بأن يكونوا يسخرون منها ، ذهبت وجسدها يرتجف من شدة الخوف الممتزج بالفرح ، فهى تريد

الذهاب لابنها وضمه إلى صدرها والرحيل من ذلك العالم القاسي الذي لم يرحم ضعفها وعجزها ، كانت تود الابتعاد عن كل البشر وقسوتهم فلم تعد في قلوبهم رحمة ولا شفقة ، ولم تعد هي تريد البقاء مع أحد تريد ابنها فقط واستعادة نفسها وعقلها الذي تشتت وأوشك على الجنون والانهيار .

همس أيمن بتفكير:

- أتعتقد يا حسام بك بأن القاتل نسى الكاميرا تلك المرة فما الذي حدث جعله ينسى يا ترى ؟

- وربما أراد أن نكتشف أمره يا أيمن من يدري ، فأنت تتعامل مع عقل مختل وسفاح مريض نفسي عاشق للدماء واللون الأحمر ورائحة الدماء وتعليق الجثث من رقبتها ، فانظر كيف ينظر للكاميرا بتحدٍ كبير وكأنه ينظر إلينا ويستفزنا .

***

تم نشر صورة القاتل في جميع مواقع التواصل الاجتماعي ، للبحث عن أي معلومة تدل عن الرجل وتعرف من يكون ، مئات الصور على مئات المواقع الالكترونية والصحف الرسمية والبحث عن السفاح الذي لم يتعرف عليه أحد ، كثفت رجال الشرطة البحث عن المجرم ، في كل الكمائن والطرقات ووزعت صورته الغريبة في كل مكان ولكن لم يتوصلوا لمعلومة .

وبعد أربعة أيام من التحقيقات تم الإفراج عن رضا ، بعدما تبين عدم معرفتها بالقاتل وليس لها دخل بأي جريمة تمت تبرئتها

والإفراج عنها من سرايا النيابة ، وانتظرها غانم بعد الإفراج عنها والتأكد من براءتها وشكرته كثيرًا ، وأصر على توصيلها لمنزل حماتها ولكنها كانت مرهقة ومتعبة وتريد تغيير ثيابها الكريهة ورائحتها التي لا تُطاق ، فأخبرته أن يوصلها لمنزلها حتى تبدل ثيابها وتذهب لابنها ، كانت لا تعرف ما الذي حدث في تلك الفترة التي قضتها في السجن والتحقيقات ، كانت يدها ترتعش وتسير ببطىء شديد اتكأت على ذراع غانم بضعف ، لقد كانت منهكة ومتعبة من كل شيء بالحياة ، عرفت بمقتل طليقها كريم ، لم تفرح لموته رغم كراهيتها له وما فعله بها من عذاب وظلم ، ولكنه بالنهاية إنسان وروح ربما استحق نهاية تليق به ولكنها لا تشعر بالراحة لموته ففي النهاية هو أبو ابنها الوحيد وإنسان بالنهاية ، كانت مشوشة الفكر والعقل لا تعرف عن مشاعرها المضطربة شيئًا ،فهل هى حزينة على موت الرجل ، أم تشعر بالفرح لموته ، فتح غانم باب السيارة وهو يقول لها :

- سيكون كل شيء بخير يا رضا بإذن الله .

- هزت رأسها بنعم ولم ترد عليه ، أغمضت عينيها وهي تحاول أن تمحو كل تلك الأيام من ذاكراتها وما عاشته من ذل واتهام ، فكيف ستواجه الناس وتعود لعملها وحياتها بعد كل ما مرت به ، لقد أنهكتها الحياة وظلمتها كثيرًا ، أخذ صوت كاظم الساهر يتغلل إلى عقلها ونفسها ثم أذنيها وهو يردد:

« إني خيرتك فاختاري..

ما بين الموت على صدري أو فوق دفاتر أشعاري

ارمي أوراقك كاملة وسأرضى عن أي قرار ..

ارمي أوراقك كاملة وسأرضى عن أي قرار ..

كوني ..

انفعلي ..

انفجري..

لا تقفي مثل المسمار..

لا يمكن أن أبقى أبدًا كالقشة تحت الأمطار..

مرهقة أنت وخائفة..

وطويل جدًا مشواري

مرهقة أنت وخائفة..

وطويل جدًا مشواري

غوصي في البحر أو ابتعدي ..

لا بحر من غير دوار ..

الحب مواجهة كبرى إبحار ضد التيار ..»

همست بصوت متعب :

- اغلق يا غانم رجاء الصوت فلا أريد الاستماع لشيء فأشعر بالصداع ، كانت الأغنية تعبر عما يجول بخاطرها حقًا فهي حقًا مرهقة وخائفة ومشوارها طويل ولا تدري ماذا ستفعل ، فليس

الوقت هو الوقت المناسب للبوح بالمشاعر والحب ، وكانت تعرف ما يريد غانم إيصاله لها ولكنها في تلك اللحظة لا تريد شيء سوى نفسها واستعادة ما فقدته من كرامتها المهدورة من التحقيقات والنيابة والاتهامات التي عاشتها الأيام الماضية .

نظر لها بحزن وبعدها أغمضت هي عينيها حتى لا ترى شيء ، وتنهد هو بحرارة فهي امرأة تجعله يحزن دومًا لا تشعر بما يعانيه في حبها ولا تقدر ما يفعله من أجلها .

وأخذت أغنية كاظم الساهر تتردد في عقله لتعبر عما يجول في نفسه من عذاب وألم :

«علمني حبك أن أحزن وأنا محتاج منذ عصور

لامرأة تجعلني أحزن..

لامرأة تجعلني أبكي فوق ذراعيها مثل العصفور ..

علمنى حبك سيدتى أسوأ عاداتى ..

علمني أفتح فنجاني في الليله آلاف المرات «

نظر لها بحزن فوجدها غطت في نوم عميق ، تبدو مرهقة فما عاشته كان صعب وكثير على امرأة رقيقة وهشة مثلها ضربات موجعة تلقتها من الحياة فخارات قواها ولم تعد تتحمل ، ولكن ماذا يفعل في قلبه المتعب فلم يعشق سواها ولم ير أنثى غيرها ولم يعترف قلبه بالحب سوى بين يديها هي فقط لقد امتلكت مفاتيح قلبه ، بعد نصف ساعة ردد غانم بصوت منخفض :

-لقد وصلنا يا رضا لمنزلك ، نظرت للبناية والشارع كان كل شيء عاد كما كان الناس كما هي والوجوه لم تتغير ،نظرات من الفضول كانت تتابعها لم يجرؤ أحد على الاقتراب منها فمازات تلك الهالة من الغموض حول المرأة أخذت نفسًا عميقًا ثم رددت بحياء :

- إني خائفة يا غانم هل يمكنك الصعود معي وانتظاري رجاء فيبدو المنزل مهجورًا ، فجريمتان من القتل في العمارة تشعرني بالتوتر كما يبدو بأن معظم السكان تركوا العمارة خوفًا والبناية مهجورة .

نظر لها بإشفاق وهز رأسه مُردفًا :

- سأصعد معك يا رضا وأنتظرك أمام باب الشقة لا تخافي فأنا معك ولن أتخلى عنك أو أتركك.

دفعت باب العمارة الذي أصدر صوتًا عاليًا وصريرًا مخيفًا يبدو المكان مهجورًا التراب في كل مكان وغرفة حارس العمارة مغلقة ، سمعت الهمسات والخربشات صادرة من ناحية الغرفة ، فقالت بتوتر:

- هل تسمع يا غانم تلك الخربشات

- لا أسمع شيء يا رضا ربما الوهم يا عزيزتي هيا استعيذي بالله وأسرعي حتى لا نتأخر ، كان هو الآخر قد سمع بعض الأصوات ولكنه كان يحاول أن يكون متماسكًا أمامها حتى لا تشعر بالخوف .

وهنا صعدت وأقدامها ترتجف خوفًا ، ونزل قط أسود يجرى مسرعًا من أعلى ليقفز على وجهها فصرخت رعبًا ، فضمها غانم إلى صدره محاولاً تهدئتها وردد:

- لا تخافي يا رضا إنه مجرد قط فقط

ابتعدت عنه وهي تحال أن تتمالك أعصابها فكان جسدها يرتعد بشدة والظلام يخيم على المكان ، أضاءت كشاف هاتفها الجوال وصعدت الدرج على مهل وقلبها خائف مضطرب ، وكان هو خلفها يشجعها ويساندها ويطمئنها بأنه لا يوجد شيء مخيف وكل شيء عادي وهو معها ولن يتركها مهما حدث ، وصلت للطابق الذي تسكن فيه ، وكانت رائحة كريهة تفوح منه ، شعرت بالبرودة تسري في جسدها وأوصالها أخذت ترتجف بشدة وتنظر بعيونها إلى باب الأستاذ شاكر جارها البغيض، سمعت همسات متداخله وأصوات تضحك بصوت عالٍ خربشات عاليه صادر من داخل الشقة المغلقة ، نظرت برعب لغانم ورددت :

- هل تسمع تلك الأصوات يا غانم

- ربما كان هناك أحد بالشقة يا رضا ، لا تهتمي وهيا بنا رجاء من هنا أبدلي ثيابك سريعًا لنرحل فعمر ينتظرك ، كان يعرف ومتأكد بأن هناك شيء خارق للطبيعة يحدث بالمكان وهناك أصوات عاليه لا مبرر لوجودها ، شعور بالخوف من المجهول ربما لبشاعة ما حدث من جرائم بالمكان مازال لم يتخلص من الطاقة السلبية الموجودة به ، لا يهم المهم بأنه هو أيضًا لا يشعر بالارتياح ويريد الرحيل الآن ، فتحت باب شقتها بيد مرتجفه وقلب تتسارع دقاته وأنفاس لاهثة ، دخلت الشقة وكان المكان مظلمًا أضاءت مصباح الصالة ودخلت ، نظرت بذهول وتعجب شديد لمنزلها لقد كان البيت مرتبًا ونظيفًا ورائحة الطعام تفوح من المطبخ ، لم تستطع أن تكمل فقالت لغانم

برعب :

- هناك أحد بالمنزل يا غانم أنا خائفة جدًا لا تتركني رجاء

***

تعليق ببضع كلمات مع صورة على أحد منشورات وزارة الداخلية للبحث عن القاتل الهارب ، وكان التعليق قصير ومقتضب وكان هو بداية الخيط لرجال الشرطة والبحث الجنائي يقول صاحب التعليق :

- هذا الرجل يرتدي قناعًا مصنوعًا من الجلد البشري يشبه الوجه الحقيقي للإنسان تمامًا ، لا يُباع في مصر بل يمكنك طلبه من أحد المواقع الأجنبية في الدييب ويب ، لقد رأيت إعلانًا منذ فترة لشخص يبحث عن أماكن بيع ذلك القناع خصوصًا فهو شهير في أمريكا ، فيبدو أنه قد حصل عليه في النهاية بطريقة ما، وختم كلماته بصورة من الأقنعة التي تشبه وجه الرجل تمامًا مع سؤال الرجل في أحد الجروبات كيف وأين يجد مثل هذا القناع؟ .

كانت الكلمات صادمة لرجال الشرطة والبحث الجنائي ، فيبدو كلام الرجل منطقيًا ، فلا مشاعر للوجه ولا تأثر ولا انفعال وقت ارتكاب الجرائم كما لو يبدو حقًا قناعًا ولكنه متقن الصنع فلا تستطيع التفرقة بيه وبين الحقيقي ، ومع البحث عن الشخص المجهول الهوية الذي نشر التساؤل في أحد الجروبات للبيع والشراء على الفيس بوك ، كثفت شرطة الانترنت البحث حتى توصلت من خلال مشرفين المجموعة لهوية الشخص وكانت المفاجأة للشرطة بأنه أكونت وهمي لم يدع صاحبه الفرصة لمعرفة هويته .

جلس حسام وأيمن يتحدثان وأمامهم صفحة المتسائل وكان يضع صورة زهور سوداء فقط، فقال حسام :

- هل أرسلنا في طلب رقم هاتف صاحب الحساب لإدارة الفيس بوك

- نعم يا حسام بك وأخبرونا بأنه بعد ساعات سيرسلون الهاتف ، أتمنى أن يكون هاتفه وأن يكون قد أنشأ الحساب برقم هاتف وليس على حساب جوجل بالايميل ستكون هناك مشكلة وقتها

- أعتقد لابد من رقم هاتف لعمل صفحة وكان هذا آخر تحديث لتطبيق الفيس بوك يا حسام بك ، لا أعرف موضوع الحساب من جوجل هذا .

- يمكنك يا أيمن الآن بالإيميل الخاص بك إنشاء صفحة .

- وحتى الإيميل يحتاج لرقم هاتف سنتعب قليلاً ولكننا سنصل بالنهاية إن شاء الله لشيء

- أتمنى ذلك ولكن الوقت ليس في صالحنا ..

قاطعهم صوت الهاتف يرن وهنا يرفعه حسام سريعًا ليتنهد بارتياح شديد مُردِدًا :

- ارسل لشركة الاتصالات الآن لنعرف صاحب الرقم الآن ، سأنتظر الإجابة لن أغادر مكتبي حتى تخبرني من يكون وعنوانه .

نظر لأيمن وهو يضع الهاتف مُردِدًا :

- يبدو إننا اقتربنا من معرفة القاتل يا أيمن ، لقد أرسلت إدارة

الفيس بوك رقم الهاتف الحمد لله ولم ينشأ الرجل الحساب بحسابه على جوجل فوقتها كان سيتطلب منا الأمر أيامًا وربما شهورًا حتى نحصل على الموافقة ورقم الهاتف من إدارة جوجل .

- الحمد لله أتمنى أن ينتهي الأمر يا حسام بك وأحصل على إجازة من العمل لأرتاح من تلك القضية وأسافر في عطلة مع المدام وابني الصغير لقد وعدتهم ، ابتسم حسام وهو يردد:

- سينتهي كل شيء ، كيف حال أدهم لم أره منذ فترة طويلة

- بخير الحمد لله ولكنه شقي جدًا وكثير الحركة كما تعلم .

وهنا قطع حديثهم الهاتف فرفعه حسام بلهفه وكان على الهاتف من يخبره بتوصلهم لصاحب الأكونت وصاحب الزهور السوداء ، وكانت الصدمة فسقط الهاتف من يده بعدم تصديق وردد وهو ينظر إلى مساعده باهتمام وهو يقف سريعًا غير مصدق ما يرى :

- اتصل بالمعلمة وأخبرها أن تحترس فحياتها في خطر يا أيمن هيا أسرع فليس هناك وقت يا رجل ، نظر الرجل بتوتر وفضول لمعرفة القاتل فيبدو إنه قريب من المعلمة ويعرفها جيدًا وربما كان معها في تلك اللحظات .

***

رددت رضا برعب وتوتر :

- هناك أحد بالشقة يا غانم ، نظر لها بتوتر وردد بصوت خافت:

- لا تخافي يا رضا ليس هناك أحد ربما تتوهمين فقط ، فهمست

بصوت منخفض:

- أقسم بالله هناك أحد بالمنزل ، لم أترك المنزل هكذا لقد تركته غير مرتب وغير نظيف ، وهل تشم رائحة الطعام الصادرة من المطبخ

اقترب غانم وشم رائحة الطعام الممتزجة بمعطر الجو والبخور بالشقة ، فالشقة تبدو حقًا مسكونة وفيها أحد ، فقال لها أن تبتعد ولا تدخل ، ودخل هو وردد:

- هل من أحد هنا .؟

لم يرد عليه أحد ، دخل كل الغرف باحثًا عن أحد ولكنه لم يجد أحد بالمنزل ، شعرت هي بالتوتر والخوف فمن الذي دخل شقتها في غيابها لا تفهم سمعت صوت غانم يردد :

- ربما كانت جدة عمر يا رضا

- لا يا غانم فهل أخبرت أحد بخروجي من السجن ؟

ردد بصوت خافت:

- لا لم أخبر أحد

- لا أفهم من الذي فعل ذلك ؟

قال غانم بتوتر:

- لا يوجد أحد بالشقة ، هيا يا رضا نغادر..

- أريد استبدال ثيابي أولا فلن أذهب لابني بتلك الحالة المزرية أبدًا

- هيا أسرعي يا رضا رجاء

- انتظرني خمس دقائق رجاء ونظرت لباب الشقة المفتوح برعب ، ورددت:

- ولكن اغلق الباب رجاء فمازلت خائفة ، نظر لها بإشفاق وردد:

- لا تقلقي يا عزيزتي سأغلق الباب وأنا معك ولن يضرك شيء مادمت أحيا على وجه الأرض ثقي في يا حبيبتي .

نظرت له بحنان وتأثر ودخلت لغرفتها سريعًا لتحضر ثيابها ، وهى تؤكد عليه :

- هل فتشت الشقة كلها يا غانم

- لا تقلقي لا يوجد أحد هنا وأنا معك لا تخافي حبيبتي .

- ولكنني خائفة يا غانم ، ضمها إلى صدره وتنهد بشوق لا تقلقي لن يمسك مكروه ولن يجرؤ أحد على أذيتك ما دمت أحيا ، ابتعدت عنه برفق وهي لا تعرف ماذا تقول ؟

دخلت إلى غرفة نومها سريعًا ومرت على المطبخ وكان الطعام الذي تحبه على الموقد ويبدو ساخنًا ، وكل ما تحبه كانت تشم رائحته ، دخلت غرفة نومها بسرعة ودقات قلبها تتزايد والخوف يجتاح كيانها كله ويخبرها أن تبتعد الآن وتهرب قبل فوات الآوان ، ولكن ومنذ متى نستمع لحديث عقولنا التي دومًا تخبرنا الحقيقة وتلك الحاسة السادسة والحدس الذي يخبرنا بأن الخطر وشيك فحاستنا تعلم بما يمكن أن يحدث ، ولكننا دومًا نتجاهل ذلك الشعور بالخوف والخطر ، وكأنه شيء ليس حقيقيًا .

وقفت أمام باب الغرفة بتوتر كبير ورعب ونظرت للداخل ووجدت بعض ثيابها على الفراش مفرودة وكأن هناك من وضعها لها لاستبدالها ، شعرت بالخوف أكثر وشعور داخلي يؤكد بأن هناك أحد معها بالغرفة وليس المنزل فقط وعليها أن تهرب الآن ، فكرت هل تفتح خزانة الملابس لتخرج بعضها وتهرب سريعًا أم تنادي على غانم ليساعدها ،لا تعرف ماذا تفعل ولكنها خائفة بشدة ودقات قلبها تتسارع ، صرخت برعب من شدة توترها ، وهنا أتى غانم سريعًا وهو يتساءل ماذا حدث؟

رددت برعب وهي تلقي بنفسها بين ذراعيه لتختبىء في صدره وهي ترتجف كورقة تحركها عاصفة هوجاء يمينًا ويسارًا ولا تدري أين المفر :

- أشعر بأن هناك أحد بالغرفة يا غانم ، فانظر كيف وضع الثياب فوق الفراش ، نظر غانم برعب كبير فقد فتش الغرفة منذ لحظات ولم يكن هناك أي ثياب فوق الفراش ، هتفت وهي تلتصف به أكثر وأكثر وجسدها يرتجف :

- أنا خائفة ..

همس ودقات قلبه تتسارع لقربها منه لتلك الدرجة :

- لا تخافي أنا معك ولن أتركك مهما حصل فأنت تعرفين كم أحبك يا رضا ، أعرف بأن الوقت غير مناسب ولكنك روحي التي أحيا من أجلها ولن أسمح لاحد بأذيتها ، استمعت له وكانت تود أن تخبره وماذا عن اتهامك لي وابتعادك عني ، لقد كانت مشاعرها مضطربه ما

بين الخوف والفزع من هول الموقف من لص أو عفريت يتربص بها وما بين كلمات الحب والغزل التي تسمعها وهى تختبىء في صدره ليحميها من الخطر الذي يتربص بها ، كانت تفكر ليس هذا هو الوقت المناسب ولا المكان الصحيح لسماع كلمات الرجل، كانت تريده أن يتوقف الآن فعقلها كان مُشتتًا وتائهًا لا يود سماع شيء ، ولكنها لم تكمل تفكيرها أو جملتها فوجدت كتلة من السواد تخرج من خلف باب الغرفة مسرعة وتردد بغضب كبير وغيظ :

- هل تخونينني بعد كل ما فعلته من أجلك ، هل تخونينني بعد كل هذا الحب والتضحية ؟

نظرت برعب إلى من يقف أمامها وكان رجلًا طويلًا لا تعرفه ولا تعرف من يكون ولكن الصوت قد سمعته من قبل مرارًا وتعرفه جيدًا ولكن لا تتذكر أين ، حتى الرجل قد رأته من قبل وهنا ابتعدت للخلف وهي تحاول أن تتذكر فقد رأت ذلك الوجه في قسم الشرطة ، وهنا صرخت بفزع وهي تردد:

- إنه القاتل ، رددت برعب ...

- أنت القاتل الذي قتل كل هؤلاء أنت السبب في تدمير حياتي ومعاناتي كل تلك الفترة وتدمير سمعتي ومستقبلي ، أنت ..

ولكنها لم تكمل بل صرخ في وجهها بصوت عالٍ:

- أنت لا تستحقين كل ما فعلته من أجلك ، لا تستحقين حبي الكبير لك وسنوات قضيناها معًا هل تخونينني بعد كل ما فعلته من أجلك ، ابتعد غانم عنها وهو يستمع للكلمات القاسية التي تمزق في قلبه

كالخنجر المسموم لا يصدق ما يسمع هل كانت تخدعه ، صرخت هي برعب:

- كاذب أنا لا أعرفك ولم أرك من قبل ..

ضحك بصوت عالٍ وهو يردد:

- لا تعرفيني بعد كل تلك السنوات والآن تتخلي عني بسهولة من أجل ذلك الأراجوز الغبي ، شعر غانم بالغضب فهتف بغيظ:

- من هذا يا رضا هل تعرفيه وما الذي بينك وبينه أخبريني؟

- ابتعدت عنه وهي تردد:

- هل أنت الآخر لا تصدقني يا غانم ، أقسم بالله لا أعرفه ولم أره من قبل

- ولكن ما الذي يقوله يبدو الرجل يعرفك جيدًا وعلى علاقة بك منذ سنوات

- لا أعرف من يكون ولا أفهم ما الذي يحدث لي يا غانم ، وهنا سمعت صرخاته وهو يردد وكان يخفي يده خلف ظهره :

-هل تضحين بحبي الكبير والسنوات العديدة التي قضيناها معًا من أجل رجل آخر ، فلماذا تتركيني وتتركين كل ما قدمته من أجلك حياتي وعمري جسدى أفنيته من أجلك وحدك كنا لا نفترق في أي مكان وحتى النوم كنا لا ننام إلا سويًا ولا أرتاح إلا في حضنك أنتِ ؟

وهنا ابتعد غانم عنها وكان يشعر بالغضب الشديد والغيره والشعور بالخداع والخيانه ، فهل خدعته بعد كل تلك التضحية التي ضحاها

من أجلها، كان الرجل يبدو صادقًا مصدومًا ومخدوعًا أيضًا ، فهل ذلك الملاك الذي وقف معه وتحدى العالم من أجله شيطان رجيم خائنه فلماذا تلاعبت بمشاعره وجعلته يصدقها ويحبها ؟

هل هي شيطان رجيم ؟

شعرت بتخلى غانم عنها في تلك اللحظة التي تحتاجه أن يكون معها ويضمها بقوة ويخبرها بأنه يصدقها وسيقف معها للنهاية ومهما فعلت ، فلماذا يصدق ذلك الكاذب ولا يصدقها هي لا تفهم ، ابتعدت هي الأخرى بجسدها عن غانم ورددت بغبات :

- هل تعرفني أخبرني من أنت فأنا لا أتذكر إنى رأيتك من قبل ؟

وهنا وقف صامتًا ينظر إليها وبعدها نزع القناع عن وجهه وهو يردد :

- هل نسيتِ تلك الأيام التي عشناها معًا ، هل تتخلي عني بكل تلك السهولة بعد كل ما قدمته من أجلك ..

وهنا شهقت برعب وهي تردد:

- أنت...ولكن كيف ؟

***

ذهبت قوات الشرطة إلى منزل صاحب الأكونت وكان طالبًا بالمدرسة الثانوية التي تعمل بها رضا والتي حدثت جرائم القتل بها ، وكان الطالب هو كارم ، قابلت الشرطة والده وعرفت بأن الصبي ليس موجودًا بالشقة ، وأخبرهم والده بأنه يقيم في شقة مستقلة

بالطابق السفلي بعد زواج الأب واقتحمت قوات الشرطة الشقة وهناك وجدت العديد من الأسلحة التي مازالت الدماء عالقة عليها ومتجمدة ، وبين الثياب وجدت العباءة السوداء والنقاب الأسود ، فيبدو أن تلك الثياب التي كان الفتى يستخدمها في جرائمه ، ويرتكب بها جرائم القتل ويتنكر بها ، كانت رائحة الشقة خانقة ومظلمة كالقبور ، تفاجأ الأب برؤية كل تلك الأسلحة الخاصة به والتي كان يحضرها من الخليج كالزينة في منزله ولكنها اختفت واحدة تلو الأخرى .

وعرف بأن ابنه متهم في جرائم قتل وهنا انهار الأب باكيًا وهو يردد:

- ابني مريض نفسي أنا المخطىء لم أتركة ليكمل علاجة بالمصحة النفسية ، يا ليتني استمعت للأطباء النفسيين ولم أخرجه للعالم قبل العلاج لقد أهملته وتزوجت ولم أعد اهتم بأدويته ، فهو مريض نفسي يا حضرة الضابط ، وهنا هتف حسام بسخرية في وجه الرجل وغيظ :

- وكل قاتل يدعي أهله بمرضه النفسي ويضيع حق القتيل هل تعتقد بأننا سنصدق ما تقول يا رجل ، فإن اعتقدت ذلك فأنت مخطىء، أخبرنا أين ابنك الآن فحياة معلمته في خطر وربما سيقتلها هي الأخرى ؟.

هتف الرجل من بين دموعه :

- لا لا أدعي شيء فأقسم لكم كارم ابني حقًا مريض نفسي وكان نزيل لمصحة نفسية لستة أشهر وكانت حالته سيئة بعد هروب أمه

واختفائها مرة واحدة ، لم يتحمل عقله فراقها ففقد عقله ودخل في حالة اكتئاب حاد وهلاوس بصرية ويتخيل بأن أمه مازالت تعيش معه بالمنزل ويتحدث معها باستمرار ، وقام بمحاولة للانتحار أكثر من مرة وعرضته على أطباء نفسيين ولم يستطيعوا معالجته ، وقالوا بأنه مصاب بمرض نفسي اسمه « بارانويد شيزوفرينا « وكانت أعراض مرضه حادة وهو شكل من أشكال الفصام يتميّزَ بالانهماك الدائم بالأوهام الغير منطقية والسخيفةِ والمتغيرة ومصحوبة بالاضطهاد وتكون مصحوبة بهَلاَوِس ذات علاقة بالصدمة التي مر بها ، وكانت صدمة كارم كبيرة في اختفاء أمه وتركها له وكانت كل شيء له بالحياة ، فكان يشعر بالقلق الشديد و الشك المبالغ وعدوانية وغضب كبير و جدل وعداء للآخرين فكان يفتعل المشاكل ، ويعيش بالوهم وما في عقله فقط بسبب البرانويا التي أصابته ، هذا ما قاله الأطباء وقتها ، وأخبروني أن الفصام البارانويدي من أكثر أنواع الفصام قسوة وشيوعاً، وهو اضطراب عقلي يفقد معه الشخص استيعابه للواقع من حوله وقدرته على التعامل معه بشكل سليم

وأكمل الأب من بين دموعه وهو يبحث في أحد الأدراج عن أوراق لتؤكد كلامه وتقارير الأطباء النفسيين لابنه بالمصحة ليقدمها للشرطة :

- فمريض الفصام البارانويدي لا يمكنه التفريق ما بين العالم الحقيقي والخيال فاقترحوا إدخاله مصحة نفسية حتى تتحسن صحته لأن حالته كانت سيئة جدًا وأعراض البارانويا كانت واضحة على الصبي ، ولكنني أنا السبب يا حضرة الضابط أنا الذي أستحق

العقاب ، فلقد أخرجته بعد ستة أشهر فقط من العلاج المكثف حتى لا يضيع مستقبله ، رغم نصح الأطباء بتركه فترة أطول بالمصحة فلم يتعاف بعد ولم يتكيف ويتأهل للتعايش مع الواقع والحياة ، ولابد من فترة من العلاج النفسي والسلوكي ليستطيع التعايش والاندماج بالحياة ، ولكنني خفت أن يضيع مستقبله الدراسي وحياته المهنية ، ولم أهتم بحياته النفسية وصحته ولكننى يبدو ضيعت مستقبله كله بغباء وكبر ، وخوفًا من كلمات الناس التي كنت دومًا أضعها أمام عيني وأفكر فيها فماذا سيقول الناس عن ابنى المريض النفسي ، كيف سيستطيعون التعايش والتعامل معه وهو خريج مصحة نفسية سيعاملونه على إنه مجنون ومختل ، فمن الأسرة التي ستوافق بارتباط ابنتهم وتزويجها من ابني ، ولماذا يحدث لابنى الوحيد ذلك ، وأنا المهندس الثري الذي عمل لسنوات من أجله في الغربه من أجل توفير حياة كريمة له و يحلم الكثيرون بالعيش مثلها أو حتى نصفها ، كنت أنوى أن أجعله ينهي دراسته الثانوية بأي شكل من الأشكال ، ويدخل أي جامعة خاصة بالمال وأزوجه من أي فتاة لينسى أمه ويتعايش ويعيش حياته وتعوضه زوجته عن فقد الأم .

نظر له الشرطيان بذهول وهما لا يصدقان أن يكون هذا تفكير شخص متعلم وحاصل على أعلى درجات علمية بالمجتمع ، فكيف يكون هذا تفكير الرجل ؟

كيف لم يحاول الرجل معالجة ابنه ومواجه المجتمع بمرض الصبي ، فهل يخاف من كلام الناس والمجتمع والقيل والقال ولم يخاف على ابنه وتطورات المرض التي ستحوله إلى وحش آدمي

وحولته بالنهاية لسفاح عاشق لرائحة الدماء ؟

كيف فكر بأن يتغاضى عن مرض ابنه النفسي ، ويجعله يتعايش مرغمًا مع الحياة ويفكر في تزويجه أيضا من فتاة ، لن تعرف عن مرضه النفسي شيئًا ولا أهلها سيعرفون شيئ سوى بأنه ابن الباشمهندس الثري الذي لن يجدوا لها شخص مناسب مثله ؟

كيف كان يفكر الرجل ؟

وما الذي فعله بابنه المسكين ، لقد حوله إلى وحش آدمي يسفك الدماء ، ويروع الآمنين والنهاية لن يحاسبه القانون على ما فعل ؟

ومنذ متى يحاسب القانون المريض النفسي الغير مسئول عن تصرفاته ؟

ولكن ما ذنب المجتمع ، وما ذنب الناس ؟

لماذا ننتظر حدوث الجريمة والمشكلة وبعدها نعرف بتشخيص المريض وقصة علاجه النفسي وما يعانية من اضطراب وهذيان وفصام وهلاوس بصرية أو سمعية ، ما ذنب الناس والمقربين ، ما ذنب من تعاملوا مع الفتى دون علم ولا معرفة بطبيعة مرضه النفسي ، والبارانوريا التي يعاني منها المريض ، من المسئول ومن الذي سيحاسب هنا من تلك الأعراض التي يعاني منها المريض ولن يفهمها سوى طبيبه المعالج وأهله ، وأهمها « الوهام» وهو ما يعاني منه ما يقارب ٩٠٪ من مرضى الفصام البارانويدي.

وللوهام أقسام وأنواع فلا يتساوى المرضى في توهماتهم وتخيلاتهم أبدًا ؛ فمنهم من يتوهم أن هناك قوة خارجية ما تتحكم

فيه وفي دواخله وحركاته وما يفعله فلا سلطان على نفسه ، كالكائنات الفضائية التي سيطرت على عقله المريض ، وقد يتوهم آخرون أن لديهم قوى خارقة أو مال وفير أو أنهم أصحاب قيمة عالية في أوساطهم وحياتهم البسيطة ، ومنهم من يتوهم أن هناك أشخاص يتبعونهم ويريدون أذيتهم أو أن كل البشر يريدون الفتك بهم ، والخلاص من حياتهم وقتلهم .

وعرض آخر وهو « الهلوسة » بأن يشعر المصاب بالفصام البارانويدي بشيء ليس موجوداً في الحقيقة أو أن يسمع أصواتاً لأشخاص يعرفهم لكنهم لا يتحدثون إليه في الوقت الراهن وقد تزداد هذه الأعراض سوءاً أثناء العزلة أو مع الناس وفي وجود الناس .

وعرض آخر وهو « عدم انضباط الكلام»

فيعاني المصابون بالفصام البارانويدي من تكرار بعض الكلمات أثناء الحديث أو حتى البدء بالحديث من وسط الجملة ، فيصدر عنه كلام غير مفهوم ، وقد يخترعون كلمات خاصة بهم ومصطلحات غريبة ، وينتج هذا بشكل عام عن ضعف التركيز وصعوبته لديهم .

وهناك « اضطراب السلوك» و يصعب على مرضى الفصام البارانويدي التحكم في تصرفاته في مختلف المواقف التي تتعلق بالحياة اليومية العادية أو بالعموم ، ويجدون صعوبة في التحكم في مشاعرهم أو ضبطها أو التوقف عن إصدار الأفعال والتصرفات الغريبة والغير معهودة والمألوفة للآخرين

لا يستطيع مرضى الفصام البارانويدي الاستمتاع بالأنشطة التي

تثير اهتمام الأشخاص العاديين غير المصابين بهذا المرض كما أنهم يفتقرون إلى المشاعر الطبيعية والغريزية ويقابلون الحياة بجفاف وعدم رغبة في التعايش معها بل كل شيء عندهم واحد ليس له طعم أو لون .

وللأسف الشديد كل هذا يدفع المريض إلى التفكير الحتمي في الانتحار والتخلص من الحياة تمامًا لعدم قدرته على التواصل مع المجتمع ، فكيف للرجل فعل ذلك بابنه ؟

كيف لم يخف عليه ، ولم يفكر في تطورات المرض وكان كل تفكيره في المجتمع والناس ، وماذا سيقولون عن ابن المهندس الذي لابد أن يكون هو الآخر مهندس وعبقري مثل والده .

فكر الشرطيان بعمق ، فإن كان المجتمع لا يحاسب المريض النفسي على فقدان عقله وعلى تصرفاته اللإرادية والتي تؤذي الناس والمجتمع ، فهو لا يتحكم في تصرفاته ومشاعره وأفكاره نتيجة الهلاوس التي تسيطر على عقله ، ولكن مهلاً مهلاً فماذا عن أهله والذين أخفوا عن الجميع والمجتمع مرض ابنهم النفسي ومشاكله النفسية حتى لا يشعرون بالدونية وبنظرات الناس وألسنتهم التي ستطاردهم في كل مكان ، ماذا عنهم لماذا لا يحاسبون ؟

فهم السبب الرئيسي في ارتكاب الجريمة ، في إخفاء الحقيقة عن الناس ومواجهة المجتمع ، ومحاولة مساعدة فلذات أكبادهم وتقديم يد العون لهم والمساعدة الطبية والعلاج المناسب في المستشفيات والمصحات المتخصصة ، فما العيب في المواجهه ومحاولة تقديم المساعدة بدلاً من دفن الرؤوس بالرمال كالنعام هروباً من المشكلة

وكأن أحدًا لا يراها غيرهم ماداموا هم يخفونها ، لماذا لا يحاسبون على فعلتهم وإخفائهم الحقيقة والتعامل مع الأمر وكأنه شيء عادي ، لماذا لا يقدمون للمحاكمة على التدليس والغش ، والتسبب في أذية المجتمع والناس ، لماذا لا يظهرون الحقيقة إلا بعد حدوث المصيبة أين هم قبل حدوثها ؟

فهل كان الرجل يفكر في تزويج ابنه المريض ظنًا منه بأن الزواج سيساعده على تجاوز مرضه ؟

وأين العدل في القصة عندما يكون أحد الطرفين مريضًا نفسيًا يحتاج للمساعدة والدعم النفسي ومواصلة العلاج ويجد الطرف الآخر بأنه تورط مع مريض نفسي لا يعرف كيف يتعامل معه ولا لماذا يعامله بكل تلك القسوة والعنف والبرود ؟

ويظل يتساءل لماذا وماذا فعلت وينتهي الأمر بجريمة بشعه أو طلاق وتشريد أطفال نتاج ذلك الزواج الغير متكافىء والتعيس ، في بعض الأحيان يتحول الطرف المظلوم لمريض نفسي هو الآخر من كثرة الضغوط والذل والمعاناة والتي لم يفهم معناها ولا سببها .

ولا لماذا يحدث له ذلك ، فلا يعرف بأن شريك حياته مريض نفسي ولم يخبره أحد بالأمر، ويعيش شهورًا وسنوات وسنوات من العذاب والتفكير الطويل التي تحوله هو الآخر لمريض نفسي يحتاج للدعم والمساعدة بسبب تدمير حياته كلها والسؤال يطارده ماذا فعلت لكل هذا ؟

وأي ذنب ارتكبت يا ترى ليعاقبني الله بشريك حياة كهذا ؟

فإما أن ينتحر أو يقتل الطرف الآخر بغل وغضب وقسوة بعد أن دمر حياته كلها وجعلها جحيمًا لا يُطاق ولا يُحتمل ..

كانت الأفكار المتلاحقة تطارد عقل رئيس المباحث ويشعر بالغيظ الشديد من الرجل والعديد من الجرائم البشعة ومن قتل الأزواج تطارد عقله وصرخات بعض الرجال والنساء المتهمين وهم يرددون بالتحقيقات بشرود « لقد كان شريك الحياة ليس طبيعيًا على الإطلاق ويتصرف بغرابة ، ولا أفهم لماذا كان يحب الإذلال والقهر ويتصرف بغرابة ، لقد كان مجنونًا وليس طبيعيًا ولم أكن أعرف بذلك شيء ، لقد خدعت في المظهر البرىء والنسب الجيد ، فلماذا تحاكموني فهم السبب ، هو أو هي السبب وهو ما جعلني أتخلص منه بسبب تصرفاته الغير طبيعية والمريبة والمؤذية ، لماذا لم يظهر على حقيقته في فترة الخطوبة ، لماذا خدعنى ، أو خدعتني صرخات ومواقف متقطعة وأصوات العديد من المتهمين في جرائم قتل أزواج وزوجات أخذت أصواتهم تطارد عقله للحظات وشعور بالحزن والقهر ، وهو يرى سبب معاناة العديد من البشر ، أمثال ذلك الرجل المتعلم الراقي وإخفاء الحقيقة المؤلمة والقاسية عن الشريك من أجل ألا تهتز صورة أبنائهم أمام المجتمع والناس ، نفض كل تلك الأفكار المتداخلة عن عقلة وهز رأسه ليبعد كل تلك الأفكار عن رأسه وهو ينظر للرجل بضيق شديد ونفور وهو يرى الرجل مجرم في نظره ويستحق العقاب ، إن كان القانون لايعاقب المريض النفسي فلابد من معاقبة من تستر على مرضه وإخفائه ، وردد بفتور شديد واستياء من الرجل وما فعل :

- وكيف كان كارم يتعامل مع الناس وهو مصاب ببارانويا حادة

كما تقول يا رجل ولماذا لم يجبرك الأطباء على تركه بالمصحة حتى يتعافى ، لم تركوه يخرج للمجتمع ومازال يحتاج للعلاج؟

زفر الأب بحرقة ومن بين دموعه التي تساقطت بحزن :

- كان ابني طبيعيًا جدًا اعتقدت بأنه شفي من مرضه والبارانويا وحالة الاكتئاب الحاد التى أصابته بسبب صدمته في أمه ورحيلها ، فلم أستمع لنصائح أحد كنت أريده أن يكمل تعليمه وينجح ويصبح طبيعيًا ومهندسًا مثلي ، فما ذنبه هو في رحيل والدته فلماذا يضيع مستقبله ، وكان يتناول علاجه بانتظام ولكن يبدو إننى أهملت أدويته بعد زواجي ولم أعد أهتم سوى بزوجتى الجديدة ونسيت مرض ابني وحالته التي كانت تحتاج لعلاج ومتابعة .

سأله الشرطي بفضول :

- وأين اختفت زوجتك يا باشمهندس ؟

زفر الرجل ليخرج الكثير من المشاعر المتضاربة بداخله مُردِدًا:

- لا أحد يعرف لقد بحثنا عنها في كل مكان والشرطة ولكن بلا فائدة فقد تبخرت واعتبرناها مفقودة

- ولماذا تقول بأنها هربت فربما حدث لها مكروه .

- كارم هو من كان يردد هروبها لقد كنت وقتها في الخارج عندما كانت تطالبنى بالانفصال والطلاق وكنت أرفض الطلاق وخراب المنزل وأخبرتها بأن نتحدث عندما أعود ، وكنت لا أفهم ما السبب ولماذا تريد الانفصال والطلاق بعد كل تلك السنوات ، فأخبرتني بأنها ملت من الهجر و البعد والسفر وتركها وحيدة بمصر و إقامتى أنا

بالغربة .

- ولماذا لم تعد وتعيش مع زوجتك وابنك ومستواك المادي جيد كما أرى ، لم لم تعد أو تأخذهم معك للعيش بالخارج .

- حتى عندما أخبرتها بأنني سوف أعود إلى مصر ولن أسافر مرة أخرى ، كانت تصر على الطلاق بشكل غريب وإصرار لا أفهم له مبرر ، في البداية هي التي كانت ترفض عودتي وترفض السفر معي منذ بداية زواجي ، لقد عرضت عليها السفر معي ولكنها رفضت وتحججت بوالدتها المريضة وبأنها لا تستطيع تركها بمفردها وهي الابنه الوحيدة لها

- وماذا فعلت بعد ذلك يا باشمهندس؟

- قررت العودة وقطع تعاقدي بالشركة التي أعمل فيها والعودة لبيتى وابنى وزوجتي لكننى وجدتها قد رحلت وكارم في حالة نفسية سيئة ولا أحد يعرف أين اختفت ، وحتى اليوم لا نعرف أين هي وكيف رحلت ولماذا ؟

- وماذا حدث بعدها ؟

- لم يتحمل ابنى الفراق فقد كانت له كل شيء بالحياة وعرضته على أطباء نفسيين وكانت حالته تسوء يومًا بعد الآخر حتى اضطررت لإدخاله مصحة نفسية حتى يتعافى ، وبعد ستة أشهر قررت أن أخرجه رغم اعتراض الأطباء لاننى رأيته قد تحسن كثيرًا وبدأ يتواصل مع الجميع ، فخفت عليه بالنهاية أنا أب ومهندس ناجح ولي اسمى ومركزى

- وهنا ابتسم أيمن بسخرية وهو ينظر له مُردِدًا:

- خفت على اسمك ومنصبك يا حضرة المهندس ولم تخف على ابنك وأخرجت للمجتمع وحشًا آدميًا لا يفرق بين الخطأ والصواب مريض نفسي لن يحاسبه المجتمع والقانون ولكنني أرى بأنك أنت المفروض أن يحاسب على صنع ذلك الوحش وتركه ينهش في لحوم الناس بلا رحمة ولا شفقة .

أخذت دموع الأب تتساقط حسرة وندم على ما فعل كان يعتقد بأنه يفعل ما يفعل من أجل ابنه الوحيد ، كان يريد له حياة أفضل ولكنه ماذا فعل بالنهاية تزوج وعاش حياته مع زوجته ولم يهتم به ولم يسأل عنه فهو المخطىء نعم لابد أن يعترف بذنبه

وهنا سأله حسام :

- وما علاقته بميس رضا مدرسة اللغة الانجليزية

- رد الأب :

- لقد كان يحبها بشدة ويعتبرها أمه وتعامله المرأة بمودة كابنها ويأخذ معها درس خصوصي في منزلها وأخبرني بأنه صديق ابنها القعيد ،ولقد غيرت المرأة حياته للأفضل وعوضته عن أمه .

- وهنا ابتسم حسام بسخرية :

- وماذا فعل بالنهاية دمر حياتها وجعلها طريدة من الشرطة والمجتمع والناس وأفسد حياتها كلها ، فهل هذا جزاؤها ؟

لم يرد الرجل عليه بل سقط على المقعد بتهالك لا يعرف ما

الذي يقوله ، ولكنه لم يكن يعرف بان حالة ابنه سيئة لتلك الدرجة البشعة ، غادرت قوات الشرطة المكان وغادرت روح الرجل جسده هي الأخرى من هول الصدمة ، فكيف لابنه أن يقتل يصبح سفاحًا بلا ضمير ولا قلب ولا رحمة وماذا فعل له كل هؤلاء الأبرياء لتكون نهايتهم الموت بتلك الطريقة البشعة .

سمع أصوات أقدامهم يبتعدون عنه وسمع صوت أحدهم يردد:

- أعتقد بأن المرأة في خطر وحياتها مهددة الآن هيا أسرع..

***

صرخت رضا برعب وهي تنظر للفتى بذهول شديد ، فهل هذا كارم الطالب الذي كانت تعامله كابنها ، ربما لم تكن ترتاح له قليلاً لكنها كانت تعامله بلطف دومًا ، كانت تراه غريبًا ولكن لم يكن هذا يعنيها ولا تجعل اختلافه يؤثر عليها ، كانت تريده أن يكون الأفضل كانت تعطف عليه بعد موت أمه التي ارتبط بها وتعلق قلبه بها بشده ، فهل هذا جزاؤها هل هذا ما تستحق منه ؟

كان عقلها سيجن وروحها ستغادر تاركه غدر وسوء تلك الحياة ولكن لمن ستترك ولدها القعيد بلا سند ولا أهل لجدة عجوز لا تستطيع خدمة نفسها ، صرخت في وجهه:

- ماذا فعلت يا أحمق ولماذا فعلت كل ما فعلت ؟

- صرخ بصوت عالٍ :

- من أجلك أنتِ ضحيت بسعادتي من أجلك أنتِ ومن أجل أن تكوني بخير وسعيدة ، فلن أسمح لأحد بأذيتك ومضايقتك ..

- من أجلي هل جننت يا كارم وهل أخبرتك أن تقتل الناس يا مجنون

- نعم قتلتهم لأنهم تجرأوا عليكِ وأنتِ كل شيء لي بالحياة ، كيف لهم أن يتجرأوا عليكِ ويضايقونكِ وأنتِ لا تستحقين ذلك ، وكيف أتركهم يعيشون على وجه الأرض وهم يضايقونك وأنت كل شيء لي بالحياة ، أخبريني كيف يا أمي وأنتِ كل شيء لي ؟

شعرت بالاشمئزاز الشديد والضيق من كلماته ومن لقب أمي فصاحت بغضب :

- لست أمك يا أحمق فقد دمرت حياتي وأنا أكرهك أكرهك ، وهنا حاول غانم تهدئتها وأخذها في حضنه لحمايتها من ذلك المريض فقد كان الفتى غاضبًا ومُثارًا بشدة ، وكان يرى بأنه من الخطأ الوقوف أمام التيار ومعاندة الفتى في تلك اللحظة وهو ثائر كالبركان الغاضب ، وتذكر المثل الإنجليزى الذي يتعامل به دومًا ويتخذه مبدأ من مبادىء حياته :

« نار عدوك في صدره لا تنقلها إلى صدرك » ، فلا تعط عدوك مبررًا لينفجر بك ويفجر غضبه في وجهك ، وكان الفتى غاضبًا ولابد من الصمت وكتم الغيظ أمام كلماته الجارحة حتى لا ينفجر ، حاول إسكاتها وهنا شاهد كارم معلمه وهو يحتضن رضا فاستشاط غضبًا وكاد يفقد عقله ، فصرخ برعب وهو يمسك بشاكوش من خلف ظهره لينزل به على رأسه وهو يردد ابتعد عنها فهي ملكي وحدى ولن يأخذها مني أحد ، وانهال بالضرب على رأس الرجل وهنا صرخت وهى تحاول إبعاد المجنون عن جسد غانم الغارق في دمائه وخر

ساقطًا على الأرض فاقدًا للوعي ، وهو ينظر لها بذهول وحسرة كان يريد إنقاذها ولكنه لم يستطع ، حاولت إبعاد يديه التي أخذت تنهال على غانم بقسوة ، أصابتها إحدى ضرباته فتساقطت الدماء من رأسها وهي تشعر بالألم ، صرخت برعب وخوف ممتزج بالهلع فماذا فعلت وإلى متى سيظل حظها عاثرًا بالحياة لا تفهم إلى متى ؟

فإلى متى سيظل سوء الحظ حليفها ؟

رأى الدماء تتساقط من رأسها شعر بالهلع عليها ، أسرع وأحضر أقرب قطعة قماش إلى يديه وحاول ربط رأسها وهو يردد بفزع :

- أنا آسف يا أمي لم أكن أقصد ولكنك السبب أنت من اخترتيه وتركتيني فلماذا يا أمي أنا أحبك أحبك أحبك ..كان يردد كالمجنون بعيون زائغة والزبد يتطاير من فمه في منظر بشع مقزز ، شعرت بالغثيان والزبد يتطاير على وجهها كانت تريد التقيؤ فدفعته بكل قوة وأمسكت منضدة من الحديد قريبه منه وانهالت على رأسه وهي تردد :

- لست أمك أنا أكرهك أكرهك يا أحمق..

سقط على الأرض بقسوة وهو ينظر إليها لقد رآها وهي معه على الفراش يتبادلان الحب باستمتاع كان يسمع صوت آهاتها العالي ، دخل الغرفة ووجدها في أحضان عشيقها لقد كانت تخون أباه مع رجل تعرفت عليه على الانترنت وتبادلت الرسائل والصور والفيديوهات حتى انتهى بهم الأمر على الفراش ، لقد شاهدها وشاهد خيانتها لأبيه وله.... لقد كانت كل ما يملك بالحياة كان يذهب معها في كل مكان لا يفترقان أبدًا ، لم ير سواها في حياته

وطفولته كانت تتحكم به تمنعه من الاختلاط خوفًا عليه من الأطفال من الزملاء من الناس كانت هي كل ما يملك بالحياة ، فلماذا تخونه الآن ، لماذا؟

كانت الأفكار تدور في رأسه لذلك طلبت الطلاق من والده ورفعت قضية الخلع من أجل التفرغ لعشيقها ، من أجل أن تتركه وتعيش مع ذلك الرجل ، فكيف هنت عليها بعد ستة عشر عامًا لم يفترقا يومًا ينام معها وفي أحضانها رغم سنه الكبير فقد اعتاد عليها بحياته ، لا يتخيل الحياة بدون أمه والآن هي من تتخلى عنه بكل تلك السهولة ومن أجل من ذلك الحقير الذي تخون والده وتخونه معه ، لا لن يتحمل قلبه الخيانة وابتعادها عنه جُن جنونه لا يعرف كيف أمسك الشاكوش وأخذ يضربهم على رؤوسهم بقسوة كانت الدماء تغرق كل شيء حتى وجهه قد أُغرق بالدماء وتلون باللون الأحمر ، كان يمتلك قوة كبيرة وطاقة من الحقد والغل هائلة تستطيع حرق مدينه بأكملها إن تحدث ، لم يستمع لتوسلاتها أن يرحمها أن يتركها تحيا ولكن كيف سيرحمها بعدما خانته ، لقد كانت تريد الابتعاد عنه وهي كل ما يملك بالحياة ، انتهى من الضرب حتى فارقت أمه الحياة وتهشمت رأسها وتهشم رأس عشيقها لم يكن الموت كافيًا ، انهال على أجسادهم بالطعنات المحملة باللعنات والغضب الشديد ، حفر حفر في حديقة المنزل الذي اشتراه لهم والده في مكان مهجور لم يعرف عنه أحد من عائلته شيئًا ، ولكنه كان لقطة وبثمن بخس ، وكان الأب سوف يوضبه للانتقال للعيش فيه عند عودته من الخارج ، وكانت الأم تستغله لمقابلة عشيقها فيه وقضاء وقت المتعه واللهو دون علم أحد وبعيدًا عن عيون المتطفلين وعن عيونه

هو الآخر ، ولكنه كان يراقبها وكان يشاهدها تعد الطعام وتذهب لعشيقها لتقابله ، وفي تلك الليلة وضع لهم المنوم بالطعام ولكنهم لم يأكلوا الكثير فلم يؤثر فيهم ولكنهم كانوا يشعرون بالدوار فقط فلم يكن لديهم القدره على المواجهة لقد كانت أجسادهم منهكة ومتعبه من الحب الحرام ، كانا لا يستطعان التحرك ، وكان غاضبًا وثائرًا لا يريد سوى الانتقام منهما وموتهما ، بعد قتلهما حفر لهم حفرة كبيرة أسفل إحدى الأشجار وقام بإلقاء أجسادهما فيها ، وقام بتغطية الحفرة وبعدها تخلص من آثار الدماء تمامًا ونظف كل شيء ، وبعدها نام ليستيقظ بحثًا عن أمه في كل مكان ، كان يبحث كالمجنون فلا يعرف أين ذهبت ومع من ولماذا تركته ؟

لقد نسى الفتى بأنه من قام بقتلها ودفنها في حديقة منزلهم الجديد ، عندما تذكر الآن مكانها قام غاضبًا كاثور الهائج وكانت رضا تحاول إسعاف غانم وهي تبكى وتتضرع إلى الله ألا يموت الرجل ويشفى فليس له ذنب فيما حدث لها ، رآها وهي تحاول إسعافة تذكر أمه وكيف تركته من أجل رجل ومن أجل عشيقها ، أحضر سكينًا من المطبخ القريب وهو يتذكر كيف ساعدها كيف تخلص لها ممن تحب وقتله كالنعاج وفصل رقبته عن جسده ؟

كيف كان يغضب ويثور ويحزن ويبكى من أجلها ، لم يتحمل أن يضايقها أحد فكل من اقترب منها كان جزاؤه الموت البشع فلا أحد يجرؤ على الاقتراب من حبيبته ، قتل العديدين من أجلها ولأنهم ضايقوها ، كم مرة حاول إسعادها ساعد ابنها ، فلماذا كانت تحب ابنها فقط ولا تشعر به ولا تحبه كان يموت قهرًا وهو يراها تقبل ابنها وتحتضنه ولماذا هو ؟

ألا يستحق الاحتضان والعناق الطويل والتحسس على رأسه وأن تربت على ظهره كما تفعل مع عمر ؟

فلماذا عمر وليس هو ؟

حاول قتل الصبي أكثر من مرة ولكنه فشل ، كان يريدها له وحده ولا يشاركه في حبها أحد ، ولكن كان دومًا عمر حاجز بينهما ، وبعدها ظهر غانم الخبيث الذي كان يتودد لها ، فهو يكرهه والآن تحاول أن تجعله يعيش تبكي من أجله هو فقط ولا تشعر بما فعله من أجلها وتضحيته من أجلها وكل ما فعله.

أحضر السكين من المطبخ وهو ينظر للطعام الذي كان يعده لها لكي تتناوله ، لقد أعد لها كل ما تحب من الطعام وأحضر الفاكهة التي تحبها ، خرج من المطبخ كالمجنون وهم بطعنها ولكن غانم كان قد استفاق وأبعدها سريعًا فأصابته الطعنة في صدره ، حاولت الدفاع عنه وهي تردد:

- هذا يكفي يا كارم وتصرخ بهيستريا .

طعنها في صدرها مرات ومرات بكل الغل والحقد المختمر في قلبه وعقله مُردِدًا :

- لقد فعلت لكِ كل ما فعلت من أجلك فلماذا تخونيني لماذا تركتني لماذا تريدين التخلي عني ؟

وهم بضربها بقوة في قلبها وغرس السكين في صدرها ولكن هنا الشرطة اقتحمت المكان في تلك اللحظة ، وأطلقت النار على يديه ليسقط السكين من بين يديه وهو يصرخ بألم ، هجم عليه رجال

الشرطة وقيدوا حركته واستطاعوا أن يمسكوه في النهاية وكان يهذي ويخرف بكلمات غير مفهومة عن خيانة أمه وعشيقها وعن قتله لها ودفنها في حديقة المنزل المهجور لأنها تستحق الموت والقتل هي وعشيقها .

***

جلس حسام يحتسى كوبًا من القهوة في مكتبه وينفث دخان سيجارته عاليًا ، وسمع أيمن يردد:

- لقد عثرنا على جثة الأم المتحللة وعشيقها يا حسام بك في حديقة المنزل

- شيء غريب فما الذي يدفع صبي في مثل عمر كارم لعمل كل تلك الجرائم

- ابتعاد الأب عن المنزل وغيابه ومرض الأم وعدم جعل الطفل يعتمد على نفسه منذ الصغر ، الاعتمادية لقد جعلته يعتمد عليها في كل شيء فأصبح لا يفعل شيء بدونها ، وكانت هي سعيدة وأبعدت الفتى عن العالم ولم تجعله يعيش حياته كطفل وبعدها مراهق ، فارتبط بها ارتباطًا مرضيًا ، وعندما ضحك العاشق الولهان على عقلها مع كبر سنها وتقدمها بالعمر وابتعاد الزوج وأسمعها كلمات الغزل والحب ، مال قلبها للرجل وأرادت الطلاق من زوجها الذي يعمل من أجلها ومن أجل ابنها وفكرت في نفسها فقط ، أنانية مفرطة وزوجة نرجسية مريضة تستحق ما حدث لها من وجه نظري ، وحولت ابنها لمريض نفسي وهى السبب الأول في مرض الصبي والعدوانية التي أصبح فيها .

- عندك حق أنانية مفرطة حقًا وحب النفس ونرجسية من الأم وتسلط ، لقد دمرت حياتها وحياة ابنها وحتى زوجها الذي لم يتحمل ما حدث فمات بنوبة قلبيه شيء مؤلم وبشع بالنهاية ونهاية يستحقها الاثنان لأنهما السبب في تدمير حياة الابن .

- للأسف الناس في بعض الأوقات لا تفكر سوى بشهوتها وغرائزها التي تحركها كالحيوانات تمامًا لا يفكرون في شيء آخر .

- أتفق معك وكل هذا مع مغريات الحياة والنت ووسائل التواصل الاجتماعي والفساد الأخلاقي للمجتمع وسهولة الحرام وتزينه للإنسان فأصبح الحرام مُتاحًا وسهلًا وفي أي وقت يمكنك فعله للأسف الشديد ، دعنا من هذا وأخبرني ماذا عن تلك المعلمة المنحوسة كيف حالها الآن هل تعافت .

- لقد تعافت وخرجت من العناية الفائقة وأعتقد بأنها ستعيش ، ولكن لا أعرف كيف ستعيش بعد كل ما مرت به من مصائب وما شاهدته من قسوة الحياة

وأخذ يفكر في رضا هل ستستطيع المواجه وتعيش حياة طبيعية بعد ما مرت به بالحياة وما شاهدته من ظلم وقسوة ، هل ستظل راضية عن حياتها كاسمها دومًا وظل السؤال يتردد في عقله وقرر أن يزورها ليطمئن عليها ، فهي تستحق أن يسأل عليها أحدهم ويهتم لأمرها .

***

في المستشفى كانت تجلس على الفراش ويجلس بجوارها أخوها

الذي أتى من الدولة التي يعمل فيها بعد معرفته بما حدث لأخته ، وكان عمر ابنها بجوارها يجلس على كرسيه وحماتها أيضًا كانت تجلس معهم بنفس الغرفة ، دخل حسام وهو يردد:

- حمد لله على سلامتك ياميس رضا لقد أقلقتينا عليك ، نظرت له برعب شديد ورددت:

- هل ستتهمونني بجريمة قتل أخرى يا حسام بك ، فأنا لم أفعل شيء ولا أستطيع التحرك من مكاني ؟.

- ضحك حسام بصوت عالٍ وهو يردد:

- لا يا رضا نحن هنا للسؤال عنك فقط فليس هناك جرائم أخرى لا تقلقي

- وماذا عن كارم ماذا حدث له

- لقد تم وضعه في المكان المناسب له في مستشفى المجانين

- لا حول ولا قوة إلا بالله مسكين ذلك الفتى دمرته أمه بتربيتها الخاطئة وظلمه والده بعدم اعترافه بمرضه .

وهنا صاح أيمن بغيظ :

- مسكين ومظلوم بعد ما فعله معك يبدو إنك لم تتعلمى شيئًا من التجربة أيتها المعلمة الفاضلة ، فلا تكوني بسيطة مع الناس جميعها ، وكما يقول المثل الإنجليزى الشهير :

«فإذا استوطنت السهام قلبك صاحب من شئت ولكن لا تترك المعول من يدك « ، صاحب وتحدث وتعامل مع من شئت ولكن كن

حذرًا ولا تكن بسيطًا مع الناس ومتسامحًا ، ولا تترك المعول من يدك وكن لماحًا هل تفهمين يا سيدتي ، لم ترد ولكن كلماته اخترقت قلبها فألجمت لسانها ، فعليها حقًا ألا تكن بسيطة مع أحد ولا تتوقع الخير من الناس بل عليها أن تظل ممسكةً بالمعول منتظرة الخطر ومتوقعة أن ياتي من أي مكان ، فلم تعد نفوس الناس كما كانت في السابق فقد تغير كل شيء .

وهنا دخل الطبيب المعالج ونظر لها وقال بود شديد :

- يبدو أنك ستخرجين قريبًا سيدتي ، ولكن دعيني أخبرك شيئًا هامًا ، فهذا الرجل له الفضل في حياتك وهو من تبرع بالدم من أجلك نفس فصيلة دمك النادرة ، فلولاه كنت ستكونين في مكان آخر ، وأشار إلى حسام ، الذي نظر للطبيب بغضب وردد:

- ولقد أخبرتك ألا تردد تلك الكلمات ، وهنا احمر وجه الطبيب خجلاً واعتذر مرددًا :

- أعتذر ولكنك لم تخبرني بذلك وبعدها انصرف مسرعًا ، وهنا هم حسام بالرحيل ونظرت له رضا مرددة:

- أشكرك على ما فعلت يا سيدى ، لم يرد عليها بل ربت على رأس ابنها الصغير وابتسم وهو يهز رأسه تاركًا الغرفة ، وتساءلت عن غانم ، فعرفت بأنه خرج من المستشفى بجراح طفيفة فكل الضربات كانت سطحية ولم تخترق أعضاء حساسة في جسده كما حدث معها ، وكان غانم يسترد عافيته في منزله مع أمه ويسأل عنها بالهاتف وكانت هي ترد يومًا وعشرة لا ، فلقد كانت تريد الابتعاد عنه تمامًا .

***

في مطار القاهرة كانت رضا تدفع ابنها أمامها وهنا سمعت صوتًا يناديها برجاء مُردِدًا :

- رضا انتظري ، التفت فوجدت غانم يركض لاهثًا خلفها ، فقالت بتعجب :

- غانم كيف عرفت بأنني هنا ؟

أشارت لأخيها كي يسبقها ويأخذ ابنها معه حتى تنهي حديثها مع غانم ، فأكملت بقلق :

- ماذا تريد يا غانم وكيف عرف بمكاني هنا ؟

- عرفت يا رضا فمن يحب إنسان يبحث عنه ويعرف كيف يجده ، حتى وإن كان في آخر مكان بالكون أخبريني لماذا ترحلين وتبتعدين عني بعد كل هذا الحب ؟

- ليس لي مكان للعيش هنا يا غانم ، فقل لي كيف سأعيش وأنا يومًا كنت قاتلة في عيون الناس والمجتمع ، وكيف سأواجه طلابي وأنا القاتلة ،حتى و إن برأتني الشرطة ستظل الذكرى في الأذهان عالقة للأبد ، ولن يتخطاها أحد بسهولة ولا أنا ، فأنت تعرف مجتعنا يا غانم لا ينسى ويجعل من نفسه القاضي ويحكم على الآخرين بناء على شكه هو وليس ما يقوله القانون والقاضي ، أريد أن أبدأ من جديد في مكان آخر ولقد حصلت على وظيفه مع أخي في الدولة التي يعيش فيها وهناك سوف أعالج ابني ، فقد تواصلت مع طبيب ألماني وسيصل إلى المستشفى التي يعمل بها أخي بعد أيام وسوف

يجري العملية لعمر وسيستطيع السير من جديد إن شاء الله ، فلدي أمل ويقين بالله بأن بعد العسر يسر وفرج كبير .

نظر لها بحزن وردد :

- وأنا هل ستتخلين عني يا رضا وأنت تعرفين كم أحبك ؟

- لقد تخليت عني يومًا يا غانم ، ومع أول جريمة قتل ودخل الشك إلى قلبك بأنني الفاعلة ، ومن يشك مرة يشك ألف مرة ومرة أعتذر منك ، ولكن ماذا في أول خلاف بيننا ماذا ستقول لي ، وبماذا ستنعتني بأنني المجرمة القاتلة التي اتهمتني يومًا الشرطة بالقتل ونمت في الزنزانة وسجن النساء أيام وليالٍ ، ستقول لي بأنني رد السجون ؟.

- ولكنني ساعدتك ووقفت معك ولن أفعل ذلك أبدًا فأنتِ حياتي يا رضا وكل ما أتمنى بالحياة .

- ضحكت بحزن وهي تردد:

- أعرف يا غانم بمشاعرك وحبك ، ولكنك تخليت عنى ولم تصدقنى وصدقت كارم قبل أن تكتشف حقيقته صدقت ما قاله في لحظات من الغضب والمرض ، وفي النهاية لن أنسى لك كل ما فعلت من أجلى ووقوفك معي ولا أستطيع نسيان وتخطي شكك بي يومًا ، لن أنسى كلمات أمك لي وهي تطالبني بالابتعاد عنك وتركك وعدم تدمير حياتك فأنا مجرمة وقاتلة في نظرها حتى بعد أن برأني القانون ومحاكم الأرض ، أنا لا أدمر حياة أحد ولدي كرامة وعزة نفس ربما ليس لي حظ بالدنيا كما تعلم ويعلم الجميع ولكنني لم

أفقد يومًا كرامتي يا غانم ، ولن أفقدها يومًا من أجل شيء .

- كرامتك من كرامتي يا رضا فأنت حبيبتي التي لم ولن أحب سواها

- لا يا غانم كرامتك شيء وكرامتي شئ آخر تمامًا ، وكما يقولون الذئب ليس أقوى من الأسد والنمر ولكن يأبى الذئب أن يكون مهرجًا في السيرك ، وإن تزوجتك سأكون مهرجًا بالسيرك ومصدر سخرية من عائلتك ومن المقربين والمعارف ومن يعرف قصتي وسمع بها يومًا ولن أقبل بذلك

فالكرامة ليست مرتبطة بالقوة ولا بالحظ العثر ولا بثكنات الحياة ، فلن أقبل أن أكون عبأ ثقيلًا على أحد بالحياة أو مصدر تعاسة له ، ولن أتحمل نظرات السخرية والخوف من أقاربك ومن الجيران ومن الناس لي دومًا ، أنا أحبك أيضًا ولم ولن أحب سواك يومًا ولكن كرامتي فوق الجميع .

تساقطت عبراتها بحزن وهي تكمل :

- أعتذر منك فلن أهدر كرامتى أمام أحد أو من أجل أحد حتى إن كنت أنت يا غانم ، فكما يقول المثل « فإذا استوطنت السهام قلبك فلا تهدر كرامتك أمام أحد ، وكن كالذئب «

ولقد قررت بالنهاية أن أكون كالذئب رغم ضعفي وقلة حيلتي ولن أفقد كرامتى أمامك أو أمام أي مخلوق على وجه الأرض سامحني رجاء ..

رحلت مسرعة ولم تعطه فرصة ليكمل أو يرد عليها وعلى كلماتها

القاسية ، ربما لأنها أصابت كبد الحقيقة ، لقد أتى إليها رغم اعتراض أمه وأخته الكبيرة ، فالكل نصحه بالابتعاد عنها فهي لا تصلح أن تكون زوجة له بعد ما شاهدته وما تم من اتهامها به من جرائم قتل عديدة ، ولكنه يحبها ولم يحب غيرها فماذا سيفعل في قلبه ؟

كانت النداءات بالمطار بمكبرات الصوت عاليه تردد بضرورة التوجه للطائرة التي ستقلع بعد قليل ، رحلت هي مسرعة ودموعها تتساقط تاركة قلبها في بلدها التي عاشت فيها لسنوات وسنوات ذاقت من الهوان والذل والظلم ما لا يتحمله أحد من البشر ، قررت العيش في بلد آخر مع أخيها بلا قلب ولا مشاعر فقط من أجل ابنها وأن يحيا حياة سوية فسيظل لقب بأنها القاتلة يطاردها حتى الموت حتى وان برأتها جميع محاكم الأرض فلن تخرج الفكرة من عقول وفكر المقربين ومن يعرف قصتها وستظل في نظرهم هي القاتلة التي قتلت وسفكت الدماء وتعطرت برائحة الدم وضحكت على الطالب البريء الذي أوقعه حظه العثر لديها بالمدرسة ستظل هي الوحش المفترس في عيون الجميع ، فسيظل ماضيها الأسود الممتزج برائحة الدم يطاردها .

تمت بحمد الله

د منى حارس محمد

٢٦ -٨-٢٠٢٤

الأعمال السابقة للكاتبة

٣١ عملا أدبيا منشور ورقياً :

أولاً الروايات :

١٧ رواية ورقية ما بين الرعب والخيال والفانتازيا والتراجيدي والاجتماعي والنفسي والساخر

١- رواية لعنة الضريح

٢- رواية قرين الظلام

٣- رواية متجر العجائز

٤- رواية رسائل من الجحيم

٥- رواية قسم سليمان

٦- رواية ابنة سراحديل

٧- رواية نحن نعرف ما يخيفك

٨- رواية ساديم

٩- رواية رعب التجربة الأمريكية

١٠- رواية قلادة الجحيم

١١- رواية رحيل

١٢- رواية عودة المبروكة

١٣- رواية الأرملة السوداء

١٤- رواية جمعية قتل الرجال

١٥- رواية عدلات وحرامي اللحاف

١٦- رواية مغامرات حماتي والمرحومة مراتي

١٧- رواية اللعنة

ثانيا المجموعات القصصية : ٤ مجموعات قصصية :

١- سجلات عزازيل مجموعة قصصية

٢- حدث بالفعل مجموعة قصصية

٣- حجيم الأشباح مجموعة قصصية

٤- لعنة الأرواح مجموعة قصصية

ثالثا : الرواية القصيرة «النوفيلا» اثنان من الروايات القصيرة

١- المبروكة نوفيلا

٢- مقبرة جلعاد نوفيلا

رابعاً الكتب الورقية والمقال : في مجال الطب البيطري وتربية الحيوانات الأليفة.

١- كيف تعتني بحيوانك الأليف

٢- كيف تختار وتربي حيوانك الأليف « القطط – الكلاب»

خامساً كتب الأطفال:

١- أريد كلباً في بيتي

٢- أريد قطة في بيتي

٣- أريد سلحفاة في بيتي

٤- أريد هامستر في بيتي

٥- أريد عصفوراً في بيتي

٦- أريد سمكة في بيتي